

اجتماع الجيوش الإسلامية ج: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الله سبحانه المسؤول المرجو الإجابة أن
يمتعكم بالإسلام والسنة والعافية فإن
سعادة الدنيا والآخرة ونعيمهما وفوزهما
مبني على هذه الأركان الثلاثة وما اجتمعن
في عبد بوصف الكمال إلا وقد كملت نعمة
الله عليه وإلا فنصيبه من نعمة الله بحسب
نصيبه منها .

((أقسام النعمة))

النعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة
1- فالنعمة المطلقة هي المتصلة
بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة
وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن

نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها
ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى
حيث يقول تعالى (ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا)
_____ (1)

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه
النعمة المطلقة وأصحابها أيضا هم المعنيون
بقول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينا) فأضاف الدين إليهم إذ هم
المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم
والدين تارة يضاف إلى العبد وتارة يضاف
إلى الرب فيقال الإسلام دين الله الذي لا
يقبل من أحد دينا سواه ولهذا يقال في

الدعاء (اللهم انصر دينك الذي أنزلته من السماء) ونسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه لأنه هو وليها ومسديها إليهم وهم محل محض النعمة قابلين لها ولهذا يقال في الدعاء المأثور للمسلمين واجعلهم مثنين بها عليك قابليها وأتممها عليهم

وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم فقال (أكملت لكم دينكم) وكان الإكمال في جانب الدين والتمام في جانب النعمة واللفظتان وإن تقاربتا وتواخيتا فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني ويطلق على الأعيان والذوات ولكن باعتبار صفاتها وخواصها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (كمل من

الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم
بنت عمران وآسية بنت _____(3)

مزاحم وخديجة بنت خويلد) وقال عمر
بن عبد العزيز "إن للإيمان

حدودا وفرائض وسنن وشرائع فمن
استكملها فقد استكمل الإيمان"

وأما التمام فيكون في الأعيان والمعاني
ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعان وأما دينه
فهو شرعه المتضمن لأمره ونهيه ومحابه
فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى
النعمة أحسن كما كانت اضافة الدين إليهم
والنعمة اليه أحسن والمقصود أن هذه
النعمة هي النعمة المطلقة وهي التي
اختصت بالمؤمنين وإذا قيل ليس لله على
الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح

- النعمة المقيدة -

2-والنعمة الثانية النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وتبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وأمثال هذه فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر وإذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق فلا يصح اطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراجا للكافر ومآلها إلى العذاب والشقاء فكأنها لم تكن نعمة وإنما كانت بلية كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك

_____ (4)

فقال تعالى (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا ...) أي ليس كل من أكرمه في

الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه وإنما كان ذلك ابتلاءً مني له واختباراً ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضيلة أكون قد أهنته بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب.

فإن قيل كيف يلتئم هذا المعنى ويتفق مع قوله (فأكرمه) فأثبت له الإكرام ثم أنكر عليه قوله (ربي أكرمن) وقال (كلا) أي ليس ذلك إكراماً مني وإنما هو ابتلاء فكأنه أثبت له الإكرام ونفاه؟

قيل الإكرام المثبت غير الإكرام المنفي وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة فليس هذا الإكرام المقيد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المطلق وكذلك أيضاً إذا قيل إن الله أنعم على الكافر نعمة مطلقة ولكنه رد نعمة الله وبدلها فهو بمنزلة

من أعطي مالاً يعيش به فرماه في البحر
كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة
الله كفراً) وقال تعالى (وأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى) فهدايتهم إياهم
نعمة منه عليهم فبدلوا نعمة الله وآثروا عليها
الضلال فهذا فصل النزاع في مسألة هل لله
على الكافر

_____ (5)

نعمة أم لا؟ وأكثر اختلاف الناس من جهتين
إحدهما اشتراك الألفاظ وإجمالها والثانية
من جهة الاطلاق والتفصيل

فصل: في أن النعمة المطلقة هي التي
يفرح بها في الحقيقة وهذه النعمة
المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة
والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا
يحب الفرحين قال الله تعالى (قل بفضل

الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون) وقد دارت أقوال السلف على
أن فضل الله ورحمته هي الاسلام والسنة
وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما
وكلما كان أرسخ فيهما كان قبله أشد فرحا
حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص
فرحا أحزن ما يكون الناس وهو ممتلئ أمنا
أخوف ما يكون الناس

- بيان أن السنة حصن الله الحصين -

فإن السنة حصن الله الحصين الذي من
دخله كان من الآمنين وبابه الأعظم الذي من
دخله كان إليه من الواصلين تقوم بأهلها وإن
قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين
أيديهم إذا طفت لأهل البدع والنفاق

أنوارهم وأهل السنة هم المبيضة وجوههم
إذا

_____ (6)

اسودت وجوه أهل البدعة قال تعالى
(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن
عباس تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف
وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق وهي
الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهده
وفوزه قال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن
مثله في الظلمات ليس بخارج منها)

- بيان منزلة صاحب السنة وصاحب البدعة -
فصاحب السنة حي القلب مستنيره
وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه وقد ذكر
الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير
موضع وجعلهما صفة أهل الايمان وجعل

ضدھما صفة من خرج عن الإيمان فإن القلب الحي المستنير هو الذي عقل عن الله وفهم عنه وأذعن وانقاد لتوحيده ومتابعة ما بعث به رسوله وآله والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله ولا انقاد لما بعث به رسول الله ولهذا يصف سبحانه هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع جهاتهم فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة وأحوالهم كلها مظلمة

_____ (7)

وقبورهم ممثلة عليهم ظلمة وإذا قسمت الأنوار دون الجسر للعبور عليه بقوا في

الظلمات ومدخلهم في النار مظلم وهذه
الظلمة هي التي خلق فيها الخلق أولاً فمن
أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجه
منها إلى النور ومن أراد به الشقاوة تركه
فيها كما روى الإمام أحمد وابن حبان في
صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما عن النبي أنه قال: (إن الله خلق
خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره
فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن
أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على
علم الله) وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسأل الله تعالى أن يجعل له نورا في قلبه
وسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه
وعظامه ودمه ومن فوقه ومن تحته وعن
يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه وأن يجعل

ذاته نورا فطلب النور لذاته ولأبعاضه
ولحواسه الظاهرة والباطنة ولجهاته الست
وقال أبي بن كعب رضي الله عنه -
المؤمن مدخله من نور ومخرجه من نور
وقوله نور وعمله نور - وهذا النور بحسب
قوته وضعفه

يظهر لصاحبه يوم القيامة فيسعى بين يديه
ويمينه فمن الناس من يكون نوره كالشمس
وآخر كالنجم وآخر كالنخلة السحوق
_____ (8)

وآخر دون ذلك حتى أن منهم من يعطى نورا
على رأس إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ
أخرى كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا
كذلك فهو هذا بعينه يظهر هناك للحس
والعيان وقال سبحانه وتعالى (وكذلك
أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما

الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فسمى وحيه وأمره روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح وسماه نورا لما يحصل به من الهدى واستنارة القلوب والفرقان بين الحق والباطل وقد اختلف في الضمير في قوله عز وجل (ولكن جعلناه نورا) ف قيل يعود على الكتاب وقيل على الإيمان والصحيح أنه يعود على الروح في قوله (روحا من أمرنا) فأخبر تعالى أنه جعل أمره روحا ونورا وهدى ولهذا ترى صاحب إتباع الأمر والسنة قد كسى من الروح والنور وما يتبعهما من الحلاوة والمهابة والجلالة والقبول ما قد حرمه غيره كما قال الحسن رحمه الله إن المؤمن من رزق حلاوة ومهابة وقال الله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات
(فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خلقوا فيه
من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم وكلما
أشرق لهم نور النبوة والوحي وكادوا أن
يدخلوا فيه منعهم

_____ (9)

أولياؤهم منه وصدوهم فذلك إخراجهم إياهم
من النور إلى الظلمات وقال تعالى أومن
كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها) فأحياء سبحانه وتعالى بروحه
الذي هو وحيه وهو روح الإيمان والعلم
وجعل له نورا يمشي به بين أهل الظلمة كما
يمشي الرجل بالسراج المضيء في الليلة
الظلماء فهو يرى أهل الظلمة في ظلامتهم

وهم لا يرونه كالبصير الذي يمشي بين
العميان

فصل - في أن الخارجين عن طاعة
الرسول يتقلبون في الظلمات وأن
اتباعهم (أي أتباع الرسول) يتقلبون في
عشرة أنوار

والخارجون عن طاعة الرسول صلوات
الله وسلامه عليهم ومتابعاتهم يتقلبون في
عشر ظلمات ظلمة الطبع وظلمة الجهل
وظلمة الهوى وظلمة القول وظلمة العمل
وظلمة المدخل وظلمة المخرج وظلمة
القبر وظلمة القيامة وظلمة دار القرار
فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاثة

وأتباع الرسول صلوات الله وسلامه
عليهم يتقلبون في عشرة أنوار ولهذه الأمة
من النور ما ليس لأمة غيرها ولنبيها وآله من

النور ما ليس لنبي غيره فإن لكل نبي منهم نورين ولنبينا وآله تحت كل شعرة من رأسه وجسده نور تام كذلك صفته وصفة أمته في الكتب _____ (10)

المتقدمة وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) وفي قوله (تمشون به) إعلام بأن تصرفهم وتقلبهم الذي ينفعهم إنما هو النور وأن مشيهم بغير النور غير مجد عليهم ولا نافع لهم بل ضرره أكثر من نفعه وفيه أن أهل النور هم أهل المشي في الناس ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع فلا مشي لقلوبهم ولا لأحوالهم ولا لأقوالهم ولا لأقدامهم إلى الطاعات وكذلك

لا تمشي على الصراط إذا مشت بأهل
الأنوار أقدامهم

وفي قوله (تمشون به) نكتة بديعة وهي
أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم كما
يمشون بها بين الناس في الدنيا ومن لا نور
له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدما عن قدم
على الصراط فلا يستطيع المشي أحوج ما
يكون إليه

فصل : في ذكر الأنوار وفيه فوائد جليلة

والله سبحانه وتعالى سمى نفسه نورا
وجعل كتابه نورا ورسوله نورا ودينه نورا
واحتجب عن خلقه بالنور وجعل دار أوليائه
نورا يتلأأ قال الله تعالى (الله نور
السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها

كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا
شرقية ولا غربية يكاد زيتها
_____ (11)

يضيء ولو لم يمسه نار نور على نور
يهدي الله لنوره من يشاء
ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء
عليم (وقد فسر قوله تعالى (الله نور
السموات والأرض) بكونه منور السموات
والأرض وهادي أهل السموات والأرض
فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض وهذا
إنما هو فعله وإلا فالنور الذي هو من أوصافه
قائم به ومنه اشتق له اسم النور الذي هو
أحد الأسماء الحسنى والنور يضاف إليه
سبحانه على أحد وجهين إضافة صفة إلى
موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله فالأول
كقوله عز وجل (وأشرق الأرض بنور

ربها) فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره
تعالى إذا جاء لفصل القضاء ومنه قول النبي
في الدعاء المشهور (أعوذ بنور وجهك
الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت) وفي الأثر
الآخر (أعوذ بوجهك أو بنور وجهك الذي
أشرقت له الظلمات) فأخبر أن الظلمات
أشرقت لنور وجه الله كما أخبر تعالى أن
الأرض تشرق يوم القيامة بنوره وفي معجم
الطبراني والسنة له وكتاب عثمان الدارمي
وغيرها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (
ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات
والأرض من نور وجهه) وهذا الذي قاله ابن
مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير
الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل
السموات والأرض وأما من فسرها بأنه منور
(12)_____

السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلفه) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله هل رأيت ربك قال نور أنى أراه فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول :معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه . قال : ويدل

عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة (هل رأيت ربك) فقال (رأيت نورا) وقد اعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال (نورانيُّ أراه) على أنها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة وهذا خطأ لفظاً ومعنى وإنما أوجب لهم هذا الاشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله رأى ربه وكان قوله أنى أراه كالانكار للرؤية حاروا في الحديث ورده بعضهم باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في

كتاب الرؤية له

_____ (13)

إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف

في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر حجاب النور فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نورا فصل: في تفسير قوله تعالى (مثل نوره) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) هذا مثل لنوره في قلب عبده المؤمن كما قال أبي بن كعب وغيره وقد اختلف في تفسير الضمير في (نوره) فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم أي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تفسره

المؤمن أي مثل نور المؤمن والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالى والمعنى مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور وهو وجه الكلام يتضمن التقادير الثلاثة وهو أتم لفظاً ومعنى وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه

_____ (14)

ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله فيضاف إلى الفاعل والقابل ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحال ومادة وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل فالفاعل هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء والقابل العبد المؤمن والمحل قلبه والحال همته وعزيمته وإرادته

والمادة قوله وعمله وهذا التشبيه العجيب
الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني
وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما
أناله من نوره ما تقر به عيون أهله وتبتهج به
قلوبهم

وفي هذا التشبيه لأهل المعاني
طريقتان

أحدهما طريقة التشبيه المركب وهي
أقرب مأخذاً وأسلم من التكلف وهي أن
تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير
تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه
ومقابلته بجزء من المشبه به وعلى هذا
عامة أمثال القرآن فتأمل صفة المشكاة
وهي كوة تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع
فيها المصباح وذلك المصباح داخل زجاجة
تشبه الكوكب الدرّي في صفائها وحسنها

ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقودا من
زيت شجرة في وسط القراح لا شرقية ولا
غربية بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي
النهار بل هي في وسط القراح محمية
بأطرافه تصيبها الشمس أعدل إصابة
والآفات إلى

_____ (15)

الأطراف دونها فمن شدة إضاءة زيتها
وصفائها وحسنها يكاد يضيء من غير أن
تمسه نار فهذا المجموع المركب هو مثل
نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده
المؤمن وخصه به

والطريقة الثانية طريقة التشبيه
المفصل فقل المشكاة صدر المؤمن
والزجاجة قلبه شبه قلبه بالزجاجة لرقتها
وصفائها وصلابتها وكذلك قلب المؤمن فإنه

قد جمع الأوصاف الثلاثة فهو يرحم ويحسن
ويتحنن ويشفق على الخلق برقته وبصفائه
تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما
هي عليه ويباعد الكدر والدرن والوسخ
بحسب ما فيه من الصفاء وبصلايته يشتد
في أمر الله تعالى ويتصلب في ذات الله
تعالى ويغلظ على أعداء الله تعالى ويقوم
بالحق لله تعالى

وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية كما
قال بعض السلف القلوب آنية الله في أرضه
فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها والمصباح
هو نور الإيمان في قلبه والشجرة المباركة
هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين
الحق وهي مادة المصباح التي يتقد منها
والنور على النور نور الفطرة الصحيحة
والإدراك الصحيح ونور الوحي والكتاب

فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد
نورا على نور ولهذا يكاد ينطق بالحق
والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر ثم يبلغه
الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به فيتفق
عنده شاهد

_____ (16)

العقل والشرع والفطرة والوحي فيريه
عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول
هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة
بل يتصادقان ويتوافقان فهذا علامة النور
على النور عكس من تلاطمت في قلبه
أمواج الشبه الباطلة والخيالات الفاسدة من
الظنون الجهليات التي يسميها أهلها
القواطع العقلية فهي في صدره كما قال
تعالى (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات

بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكذب يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)
فانظر كيف تضمنت هذه الآيات طرائق بني
آدم أتم انتظام واشتملت عليه أكمل
اشتمال فإن الناس قسمان

[القسم الأول]: أهل الهدى والبصائر
الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول
عن الله سبحانه وتعالى وأن كل ما عارضه
فشبّهات يشتهه على من قل نصيبه من
العقل والسمع أمرها فيظنها شيئا له حاصل
ينتفع به وهي (كسراب بقية يحسبه
الظلمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا
ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع
الحساب أو كظلمات في بحر لحي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم

يكذ يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له
(من نور)

_____ (17)

وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق
أصحاب العلم النافع والعمل الصالح الذين
صدقوا الرسول في أخباره ولم يعارضوها
بالشبهات وأطاعوه في أوامره ولم يضيعوها
بالشهوات فلا هم في علمهم من أهل
الخوض الخراصين الذين هم في غمرة
ساهون ولا هم في عملهم من المستمتعين
بخلاقهم الذين حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة وأولئك هم الخاسرون أضاء لهم نور
الوحي المبين فرأوا في نوره أهل الظلمات
في ظلمات آرائهم يعمهون وفي ضلالتهم
يتهوكون وفي ريبهم يترددون مغترين بظاهر
السراب محلين مجدين مما بعث الله

تعالى به رسوله من الحكمة وفصل الخطاب
إن عندهم إلا نخالة الأفكار وزبالة الأذهان
التي قد رضوا بها واطمأنوا اليها وقدموها
على السنة والقرآن إن في صدورهم إلا كبر
ما هم بباليغيه أوجبهم لهم اتباع الهوى ونخوة
الشيطان وهم لأجله يجادلون في آيات الله
بغير سلطان

[القسم الثاني] فصل: في بيان أهل
الجهل والظلم وانهم قسمان القسم
الأول من أهل الجهل القسم الأول أهل
الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما
جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله
تعالى فيهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى
الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
(18)_____

وهؤلاء قسمان

[القسم الأول] أحدهما الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله وينصرون الباطل ويوالون أهله وهم يحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائئ السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو حال من أم السراب فلم يجده ماء بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العادلين سبحانه وتعالى فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر

وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه
فجعله هباء منثورا إذ لم يكن خالصا لوجهه
ولا على سنة رسول الله وصارت تلك
الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوما
نافعة كذلك هباء منثورا فصارت أعماله
وعلومه حشرات عليه والسراب ما يرى في
الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت
الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء
يجري والقيعة القاع هو المنبسط من الأرض
الذي

_____ (19)

لا جبل فيه ولا فيه واد فشبه علوم من لم
يأخذ علومه وأعماله من الوحي بسراب يراه
المسافر في شدة الحر فيؤمه فيخيب ظنه
ويجده نارا تلظى فهكذا علوم أهل الباطل
وأعمالهم إذا حشر الناس واشتد بهم

العطش بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء
فإذا أتوه وجدوا الله عنده فأخذتهم زبانية
العذاب فعتلوهم إلى نار الجحيم فسقوا ماء
حميما فقطع أمعاءهم وذلك الماء الذي
سقوه هو تلك العلوم التي لا تنفع والأعمال
التي كانت لغير الله تعالى صيرها الله تعالى
حميما سقاهاهم إياه كما أن طعامهم من
ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وهو تلك
العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في
الدنيا كذلك لا يسمن ولا يغني من جوع
وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم (قل هل
ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا) وهم الذين عنى بقوله (وقدمنا
إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
(وهم الذين عنى بقوله تعالى

(كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار)
[القسم الثاني] أصحاب الظلمات
والقسم الثاني من هذا الصنف أصحاب
الظلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث
قد أحاط بهم من كل وجه فهم بمنزلة
_____ (20)

الأنعام بل هم أضل سبيلا فهؤلاء
أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة بل
بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من
الله تعالى كظلمات جمع ظلمة وهي ظلمة
الجهل وظلمة الكفر وظلمة الظلم واتباع
الهوى وظلمة الشك والريب وظلمة
الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به
رسله صلوات الله وسلامه عليهم والنور
الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من

الظلمات إلى النور فإن المعرض عما بعث
الله تعالى به محمدا من الهدى ودين الحق
يتقلب في خمس ظلمات فقوله ظلمة
وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة
ومصيره إلى الظلمة وقلبه مظلم ووجهه
مظلم وكلامه مظلم وحاله مظلم وإذا قابلت
بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمدا من
النور جد في الهرب منه وكاد نوره يخطف
بصره فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به
أنسب وأولى كما قيل :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها
قطع من الليل مظلم
فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان
جال ومال وأبدى وأعاد وقعقع وفرقع فإذا
طلع نور الوحي وشمس الرسالة إنحجر في
حجرة الحشرات .

_____ (21)

[في تفسير قوله تعالى (في بحر لحي...)

[

اللحي العميق منسوب إلى لجة البحر وهو
معظمه وقوله تعالى (يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب) تصوير
لحال هذا المعرض عن وحيه فشبه تلاطم
أمواج الشبه والباطل في صدره بتلاطم
أمواج ذلك البحر وأنها أمواج بعضها فوق
بعض والضمير الأول في قوله (يغشاه)
راجع إلى البحر والضمير الثاني في قوله
(من فوقه) عائد إلى الموج ثم إن تلك
الأمواج مغطاة بسحاب فهنا ظلمات:
ظلمة البحر اللحي وظلمة الموج الذي فوقه
وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله إذا
أخرج من في هذا البحر يده لم يكديراها .

[تفسير قوله تعالى (لم يكذبها)]
واختلف في معنى ذلك فقال كثير من النحاة
هو نفي لمقاربة رؤيتها وهو أبلغ من نفي
الرؤية فإنه قد ينفي وقوع الشيء ولا تنفي
مقاربتة فكأنه قال لم يقارب رؤيتها بوجه
قال هؤلاء كاد من أفعال المقاربة لها
حكم سائر الأفعال في النفي والإثبات فإذا
قيل كاد يفعل فهو إثبات مقاربة الفعل فإذا
قيل لم يكذب يفعل فهو نفي لمقاربة الفعل
وقالت طائفة أخرى بل هذا دال على أنه
إنما يراها بعد جهد شديد وفي ذلك إثبات
رؤيتها بعد أعظم العسر لأجل تلك الظلمات
قالوا لأن كاد لها شأن ليس لغيرها من
الأفعال فإنها إذا أثبتت نفت وإذا نفت أثبتت
فإذا قلت ما كدت أصل إليك فمعناه وصلت
إليك بعد الجهد والشدة فهذا إثبات للوصول

وإذا قلت كاد زيد يقوم فهي نفي لقيامه كما
قال تعالى (وإنه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا) ومنه قوله تعالى
(وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم
) وأنشد بعضهم في ذلك لغزا

انحوى هذا العصر ما هي لفظه
جرت في لساني جرهم وثمرود
إذا استعملت في صورة النفي أثبتت
وإن اثبتت قامت مقام جحود

وقالت فرقة ثالثة منهم أبو عبد الله بن
مالك وغيره أن استعمالها مثبتة يقتضي نفي
خبرها كقولك كاد زيد يقوم واستعمالها
منفية يقتضي نفيه بطريق الأولى فهي عنده
تنفي الخبر سواء كانت منفية أو مثبتة ف(لم
يكذ زيد يقوم) أبلغ عنده في النفي من (لم
يقم) واحتج بأنها إذا نفت وهي من أفعال

المقاربة فقد نفت مقاربة الفعل وهو أبلغ من نفيه وإذا استعملت مثبتة فهي تقتضي مقاربة اسمها لخبرها وذلك يدل على عدم وقوعه واعتذر عن مثل قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وعن مثل قوله (وصلت إليك وما كدت أصل) (وسلمت وما كدت أسلم) بأن هذا وارد على كلامين متباينين أي فعلت كذا بعد أن لم أكن مقاربا له فالأول يقتضي وجود الفعل والثاني يقتضي أنه لم يكن مقاربا له بل كان آيسا منه فهما كلامان مقصود بهما أمران متباينان

وذهبت فرقة رابعة إلى الفرق بين ماضيها ومستقبلها فإذا كانت في الإثبات فهي لمقاربة الفعل سواء كانت بصيغة الماضي أو المستقبل وإن كانت في طرف

النفى فإن كانت بصيغة المستقبل كانت
لنفي الفعل ومقاربتة نحو قوله (لم يكذب
يراهها) وإن كانت بصيغة الماضي فهي
تقتضي الاثبات نحو قوله (فذبحوها وما
كادوا يفعلون)

فهذه أربعة طرق للنحاة في هذه
اللفظة والصحيح أنها فعل يقتضي المقاربة
ولها حكم سائر الأفعال ونفي الخبر لم
يستفد من لفظها ووضعها فإنها لم توضع
لنفيه وإنما استفيد من لوازم معناها فإنها إذا
اقتضت مقاربة الفعل لم يكن واقعا فيكون
منفيا باللزوم وأما إذا استعملت منفية فإن
كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة كما
إذا قلت لا يكاد البطال يفلح ولا يكاد البخيل
يسود ولا يكاد الجبان يفرح ونحو ذلك وإن
كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد

أن لم يكن مقاربا كما قال ابن مالك فهذا
التحقيق في أمرها والمقصود أن قوله (لم
يكديراها) إما أنه يدل على أنه لا يقارب
رؤيتها لشدة الظلمة وهو الأظهر فإذا كان لا
يقارب رؤيتها فكيف يراها قال ذو الرمة
إذا غير النائي المحبين لم يكدي
رسيس الهوى من حب مية يبرح اي
لم يقارب البراح وهو الزوال فكيف يزول
فشبه سبحانه أعمالهم أولا في فوات نفعها
وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع
رائيه من بعيد فإذا جاءه وجد عنده عكس ما
أمله ورجاه وشبهها ثانيا في ظلمتها
وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان
بظلمات متراكمة في لجج البحر المتلاطم
الأمواج الذي قد غشيه السحاب من فوقه
فياله تشبيها ما أبدعه وأشد مطابقتة بحال

أهل البدع والضلال وحال من عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه وهذا التشبيه هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم فهي سراب لا حاصل لها وظلمات لا نور فيها وهذا عكس مثل أعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة فإنها مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا والآخرة

[تفسير الآية (مثلهم كمثل الذي

استوقد ناراً)]

ولهذا يذكر سبحانه هذين المثليين

في القرآن في غير موضع لأوليائه وأعدائه

كما ذكرهما في سورة البقرة في قوله
تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما
أضاءت من حوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا
يرجعون)

شبه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم
أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها فلما
أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما
ينفعهم ويضرهم وأبصروا الطريق بعد أن
كانوا حيارى تائهين فهم كقوم سفر ضلوا
عن الطريق فأوقدوا النار تضيء لهم
الطريق فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا
طفئت تلك الأنوار وبقوا في الظلمات لا
يبصرون قد سدت عليهم أبواب الهدى
الثلاث فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة
أبواب مما يسمعه باذنه ويراه بعينه ويعقله

بقلبه وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى
فلا تسمع قلوبهم شيئاً ولا تبصره ولا تعقل
ما ينفعها وقيل لما لم ينتفعوا بأسماعهم
وأبصارهم وقلوبهم نزلوا بمنزلة من لا سمع
له ولا بصر ولا عقل والقولان متلازمان
وقال في صفتهم (فهم لا يرجعون) لأنهم
قد رأوا في ضوء النهار وأبصروا الهدى فلما
طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا
وقال سبحانه وتعالى (ذهب الله بنورهم)
ولم يقل ذهب نورهم وفيه سر بديع وهو
انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي
للمؤمنين من الله تعالى فإن الله تعالى مع
المؤمنين وإن الله مع الصابرين وإن الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون فذهب الله
بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها
أوليائه فقطعها بينه وبين المنافقين فلم يبق

عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم فليس
لهم نصيب من قوله (لا تحزن إن الله معنا
(ولا من (كلا إن معي ربي سيهدين)
وتأمل قوله تعالى (أضاءت ما حوله)
كيف جعل ضوءها خارجا عنه منفصلا ولو
اتصل ضوءها به ولا بسه لم يذهب ولكنه كان
ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة وكان
الضوء عارضا والظلمة أصلية فرجع الضوء
إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها فرجع
كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله
قائمة وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولي
الألباب من عباده

وتأمل قوله تعالى (ذهب الله بنورهم
(ولم يقل بنارهم) ليطابق أول الآية فإن
النار فيها إشراق وإحراق فذهب بما فيها من
الإشراق وهو النور وأبقى عليهم ما فيها من

الاحراق وهو النارية وتأمل كيف قال
(بنورهم) ولم يقل (بضوئهم) مع قوله
(فلما أضاءت ما حوله) لأن الضوء هو زيادة
في النور فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم
الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل فلما كان
النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا
بالشيء وزيادته وأيضا فإنه أبلغ في النفي
عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور
لهم وايضا فإن الله تعالى سمى كتابه نورا
ورسوله نورا ودينه نورا وهداه نورا ومن
أسمائه النور والصلاة نور فذهابه سبحانه
بنورهم ذهاب بهذا كله وتأمل مطابقة هذا
المثل لما تقدمه من قوله (أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين) كيف طابق هذه التجارة
الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة

والرضى بها وبدل الهدى في مقابلتها
وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى
بها بدلا عن النور الذي هو الهدى والنور
فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة
والضلالة فيا لها من تجارة ما أخسرها
وصفقة ما أشد غبنها وتأمل كيف قال الله
تعالى (ذهب الله بنورهم) فوحده ثم قال
(وتركهم في ظلمات) فجمعها فإن الحق
واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا
صراط يوصل إليه سواه وهو عبادته وحده لا
شريك له بما شرعه على لسان رسوله لا
بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث
الله به رسوله من الهدى ودين الحق بخلاف
طرق الباطل فإنها متعددة متشعبة ولهذا
يفرد سبحانه الحق ويجمع الباطل كقوله
تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور إلى
الظلمات) وقال تعالى (وإن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله) فجمع سبل الباطل ووجد
سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالى
(يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
) فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها
سبيله الواحد وصراطه المستقيم فإن طرق
مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل
واحد وهو سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها
وقد صح عن النبي أنه خط خطا مستقيما
وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن
يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل
سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله
تعالى (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصكم به لعلكم تتقون (وقد قيل إن هذا
مثل للمنافقين وما يوقدونه من نار الفتنة
التي يوقعونها بين أهل الإسلام ويكون
بمنزلة قول الله تعالى (كلما أوقدوا نارا
للحرب أطفاها الله ويكون قوله تعالى
(ذهب الله بنورهم) مطابقا لقوله تعالى
(أطفاها الله) ويكون تخييبهم وإبطال ما
راموه هو تركهم في ظلمات الحيرة لا
يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا
يبصرون سبيلا بل هم صم بكم عمي وهذا
التقدير وإن كان حقا ففي كونه مرادا بالآية
نظر فإن السياق إنما قصد لغيره ويأباه قوله
تعالى (فلما أضاءت ما حوله) وموقد نار
الحرب لا يضيء ما حوله أبدا ويأباه قوله
تعالى (ذهب الله بنورهم) وموقد نار

الحرب لا نور له ويأباه قوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وهذا يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة إلى ظلمة الشك والكفر قال الحسن رحمه الله هو المنافق أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ولهذا قال (فهم لا يرجعون) أي لا يرجعون إلى النور الذي فارقه وقال تعالى في حق الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون فسلب العقل عن الكفار إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان وسلب الرجوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا فلم يرجعوا إلى الإيمان

[فصل في تفسير قوله تعالى : (أو كصيب من السماء)

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلا آخر مائيا فقال تعالى (أو كصيب من السماء فيه

ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في
آذانهم من الصواعق حذر الموت والله
محيط بالكافرين) فشبه نصيبهم مما بعث
الله تعالى به رسوله من النور والحياة
بنصيب المستوقد النار التي طفئت عنه
أحوج ما كان إليها وذهب نوره وبقي في
الظلمات حائرا تائها لا يهتدي سبيلا ولا
يعرف طريقا وبنصيب أصحاب الصيب وهو
المطر الذي يصب أي ينزل من علو إلى
أسفل فشبه الهدى الذي هدى به عباده
بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض
بالمطر ونصيب المنافقين من هذا الهدى
بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب
إلا ظلمات ورعد وبرق ولا نصيب له فيما
وراء ذلك مما هو المقصود بالصيب من حياة
البلاد والعباد والشجر والدواب وإن تلك

الظلمات التي فيه وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الاحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولو ازم ذلك من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره وصانع عن صنعته ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب وهذه حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لاتلاف المهجة والجراحات الشديدة وملامة اللوام ومعاداة من يخاف معاداته لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول

إليه من العواقب الحميدة والغايات التي
اليها تسابق المتسابقون وفيها تنافس
المتنافسون وكذلك من عزم على سفر
الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره
ذلك إلا مشقة السفر ومفارقة الأهل
والوطن ومقاساة الشدائد وفراق المألوفات
ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر
ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم
عليه وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة
والإيمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد
والوعيد والزواجر والنواهي والأوامر الشاقة
على النفوس التي تفتطمها عن رضاعها من
ثدي المألوفات والشهوات والفظام على
الصبي أصعب شيء وأشقه والناس كلهم
صبيان العقول إلا من بلغ مبالغ الرجال
العقلاء الألباء وأدرك الحق علما وعملا

ومعرفة فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود وقال الزمخشري لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الاقراع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا قال والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه إن المثليين جميعا من جهة التمثلات المترتبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه وهذا القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ شيئا

فرادى معزولا بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجة ذاك فشبها بنظائرها كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصله من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالين عند من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر ذلك إلا بما يريد فيه من الكد والتعب وكقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة

بقاء هذا النبات فأما أن يراد تشبيه الأفراد
بالأفراد غير منوط بعضها ببعض وتصيرها
شيئاً واحداً فلا وكذلك لما وصف وقوع
المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من
الحيرة والدهشة فشبه حيرتهم وشدة الأمر
عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها
في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء
في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من
الصواعق قال فإن قلت أي المثليين أبلغ
قلت الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة
وشدة الأمر وفضاعته ولذلك آخر وهم
يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى
الأغلظ .

[أقسام الناس في الهدى]

قلت قال شيخنا الناس في الهدى الذي
بعث الله تعالى به رسوله أربعة أقسام قد

اشتملت عليهم هذه الآيات من أول السورة
إلى هنا بيان أقسام الناس في الهدى
القسم الأول من هؤلاء .

القسم الأول قبلوه باطنا وظاهرا وهم
نوعان :

أحدهما أهل الفقه فيه والفهم والتعليم
وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه
وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا
أسراره وكنوزه فهؤلاء مثل الأرض الطيبة
التي قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب
الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم
وأخذوا من ذلك الكلاً الغذاء والقوت والدواء
وسائر ما يصلح لهم النوع الثاني

حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى
الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من
أهل الاستنباط والنفقة في مراد الشارع

فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه
والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة
لدفائنه وكنوزه وهذا النوع الثاني بمنزلة
الأرض التي أمسكت الماء للناس فوردوه
وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به
[فصل في القسم الثاني]

من هؤلاء أيضا القسم الثاني من رده
ظاهرا وباطنا وكفر به ولم يرفع به رأسا
وهؤلاء أيضا نوعان :

أحدهما عرفه وتيقن صحته وأنه حق
ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة
والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه
بعد البصيرة واليقين

النوع الثاني

أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا
وكبرائنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما

يردونه ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن
أنفسهم ولو كان حقا لكانوا هم أهله وأولى
بقبوله وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام
يساقون حيث يسوقهم راعيهم وهم الذين
قال الله عز وجل فيهم (إذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب
وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو
أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك
يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار) وقال تعالى فيهم
(يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا
أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)
وقال تعالى فيهم (وإذ يتحاجون في النار
فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم

تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال
الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم
بين العباد) وقال فيهم (هذا فليذوقوه
حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا
فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا
النار قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم
قدمتموه لنا فبئس القرار) أي سننتموه لنا
وشرعتموه (قالوا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذاباً ضعفاً في النار) فقولهم (لا
مرحباً بهم إنهم صالوا النار) أي داخلوها كما
دخلناها ومقاسون عذابها كما نقاسيه
فأجابهم الأتباع و(قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم
أنتم قدمتموه لنا) وفي الضمير قولان
أحدهما أنه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول
الرسول صلوات الله وسلامه عليهم
واستبدال غيره به والمعنى أنتم زينتم لنا

الكفر ودعوتهمونا اليه وحسنتموه لنا وقيل
على هذا القول إنه قول الأمم المتأخرين
للمتقدمين والمعنى على هذا أنتم شرعتم
لنا تكذيب الرسل ورد ما جاءوا به والشرك
بالله سبحانه وتعالى أي بدأتهم به وتقدمتمونا
اليه فدخلتم النار قبلنا فبئس القرار أي بئس
المستقر والمنزل والقول الثاني أن
الضمير في قوله أنتم قدمتموه لنا ضمير
العذاب وصلي النار والقولان متلازمان وهما
حق وأما القائلون (ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار) فيجوز أن يكون
الاتباع دعوا على سادتهم وكبرائهم وأئمتهم
به لأنهم هم الذين حملوهم عليه ودعوهم
اليه ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا
ربهم أن يزيد من سن لهم الشرك وتكذيب

الرسول صلى الله عليهم وسلم ضعفا وهم
الشياطين

[فصل في القسم الثالث من هؤلاء
أيضا]

القسم الثالث الذين قبلوا ما جاء
به الرسول وآمنوا به ظاهرا ووجدوه وكفروا
به باطنا وهم المنافقون الذين ضرب لهم
هذان المثالن بمستوقد النار وبالصيب وهم
أيضا نوعان :

أحدهما من أبصر ثم عمي وعلم ثم
جهل وأقر ثم أنكر وآمن ثم كفر فهؤلاء
رؤوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم
ومثلهم مثل من استوقد نارا ثم حصل بعدها
على الظلمة

والنوع الثاني ضعفاء البصائر الذين
أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن

يخطفها لضعفها وقوته وأصم أذنهـم صوت
الرعد فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن
والإيمان بل يهربون منه ويكون حالهم حال
من يسمع الرعد الشديد فمن شدة خوفه
منه يجعل أصابعه في أذنه وهذه حال كثير
من خفافيش البصائر في كثير من نصوص
الوحي وإذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن
أسلافه وذوي مذهبه ومن يحسن به الظن
ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من
النصوص وكره من يسمعه إياها ولو أمكنه
لسد أذنيه عند سماعها ويقول دعنا من هذه
ولو قدر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها
ويعلمها فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده
مشى فيها وانطلق فإذا جاءت بخلاف ما
عنده أظلمت عليه فقام حائرا لا يدري أين

يذهب ثم يعزم له التقليد وحسن الظن
برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها
ويقول مسكين الحال هم أخبر بها مني
وأعرف فيا لله العجب أو ليس أهلها
والذابون عنها والمنتصرون لها والمعظمون
لها والمخالفون لأجلها آراء الرجال
المقدمون لها على ما خالفها أعرف بها أيضا
منك وممن اتبعته فلما كان من خالفها
وعزلها عن اليقين وزعم أن الهدى والعلم لا
يستفاد منها وأنها أدلة لفظية لا تفيد شيئا
من اليقين ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة
واحدة من مسائل التوحيد والصفات
ويسميتها الظواهر العقلية ويسمي ما خالفها
القواطع العقلية فلما كان هؤلاء أحق بها
وأهلها وكان أنصارها والذابون عنها
والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها ولكن

هذه سنة الله في أهل الباطل أنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربتة كالرافضة الذين عادوا أصحاب النبي بل وأهل بيته ونسبوا أتباعه وأهل سنته إلى معاداته ومعاداة أهل بيته وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون .

والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم فأولئك زنادقة مستبصرون وهؤلاء زنادقة مقلدون فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان كحال المستضعف بين الكفار الذي تبين له الإسلام ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه ولم يزل

هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله
وبعده وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه
وعلى هذا فالناس إما مؤمن ظاهرا وباطنا
وإما كافرا ظاهرا وباطنا أو مؤمن ظاهرا
كافر باطنا أو كافر ظاهرا مؤمن باطنا
والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود
وقد بين القرآن أحكامها فالأقسام الثلاثة
الأول ظاهرة وقد اشتمل عليها أول سورة
البقرة

[فصل في القسم الرابع من هؤلاء أيضا

[

وأما القسم الرابع ففي قوله تعالى
(فلولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لهم
تعلموهم أن تطؤهم) فهؤلاء كانوا يكتُمون
إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره
ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتُم

إيمانه ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله فإنه كان ملك النصارى بالحبشة وكان في الباطن مؤمنا وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) وقوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد قطعاً فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار فلا يثني عليهم بهذا الثناء وليس المراد به من آمن من أهل الكتاب ودخل في

جملة المؤمنين وباين قومه فإن هؤلاء لا يطلق عليهم إنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه وذلك الاعتبار قد زال بالاسلام واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين وإنما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين أهل الكتاب هذا هو المعروف في القرآن كقوله تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) ونظائره ولهذا قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك والحسن وقتادة أن قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) أنها نزلت في النجاشي زاد

الحسن وقتادة وأصحابه وذكر ابن جرير في تفسيره من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة عن ابن المسيب عن جابر رضي الله عنه أن النبي قال اخرجوا فصلوا على أخيكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشي أصحمة فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علق نصراني لم يره قط فأنزل الله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ... الآية).

والمقصود أن الأقسام الأربعة قد ذكرها الله تعالى في كتابه وبين أحكامها في الدنيا وأحكامها في الآخرة وقد تبين أن أحد الأقسام من آمن ظاهرا وكفر باطنا وأنهم نوعان رؤساؤهم وساداتهم وأتباعهم ومقلدوهم وعلى هذا فأصحاب المثل الأول

الناري شر من أصحاب المثل الثاني المائي
كما يدل السياق عليه .

وقد يقال وهو أولى أن المثليين لسائر
النوع وإنهم قد جمعوا بين مقتضى المثل
الأول من الإنكار بعد الإقرار والحصول في
الظلمات بعد النور وبين مقتضى المثل
الثاني من ضعف البصيرة في القرآن وسد
الأذان عند سماعه والاعراض عنه فإن
المنافقين فيهم هذا وهذا وقد يكون الغالب
على فريق منهم المثل الأول وعلى فريق
منهم المثل الثاني.

[فصل في بيان ما اشتمل عليه المثلان
المتقدمان]

وقد اشتمل هذان المثلان على حكم

عظيمة :

منها أن المستضيء بالنار مستضيء
بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه فإذا
ذهبت تلك النار بقي في ظلمة وهكذا
المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد
ومحبة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من
النور كالمستعار.

ومنها أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى
مادة تحمله وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء
الحيوان فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة
من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها
ويدوم بدوامها فإذا ذهبت مادة الإيمان
طفيء كما تطفأ النار بفراغ مادتها.

ومنها أن الظلمة نوعان ظلمة مستمرة
لم يتقدمها نور وظلمة حادثة بعد النور وهي
أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت
حظه فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة

فمثلت حاله بحال المستوقد للنار الذي حصل في الظلمة بعد الضوء وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط .

ومنها أن في هذا المثل إيذانا وتنبيها على حالهم في الآخرة وأنهم يعطون نارا ظاهرا كما كان نورهم في الدنيا ظاهرا ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ويبقون في الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور فإنه لا يمكن أحدا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم ومن ههنا يعلم السر في قوله

تعالى (ذهب الله بنورهم) ولم يقل
أذهب الله نورهم فإن أردت زيادة بيان
وإيضاح فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
وقد سئل عن الورود فقال (نجىء نحن يوم
القيامة على تل فوق الناس قال فتدعى
الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم
يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك فيقول من
تنتظرون فيقولون نتنظر ربنا فيقول أنا
ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم
يضحك قال فينطلق بهم فيتبعونه ويعطى
كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم
يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك
تأخذ من شاء الله تعالى ثم يطفأ نور
المنافقين ثم ينجو المؤمنون فينجو أول
زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا

لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء وذكر باقي الحديث فتأمل قوله فينطلق فيتبعونه ويعطى كل إنسان منهم نورا المنافق والمؤمن ثم تأمل قوله تعالى (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وتأمل حالهم إذا طفئت أنوارهم فبقوا في الظلمة وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل وتأمل قوله في حديث الشفاعة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده والموحد الحقيق بأن يتبع الاله الحق الذي

كان كل معبود سواه باطل وتأمل قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع وقوله في الحديث فيكشف عن ساقه وهذه الاضافة يتبين المراد بالساق المذكور في الآية وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه بعد هذا وذلك يفتح لك بابا من أسرار التوحيد وفهم القرآن ومعاملة الله سبحانه وتعالى لأهل توحيدهم الذين عبدوه وحده ولم يشركوا به شيئا هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها فانطلق بها واتبعته إلى النار وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه فسبحان الله رب العالمين الذي قرت عيون أهل التوحيد

به في الدنيا والآخرة وفارقوا الناس فيه
أحوج ما كانوا اليهم.

ومنها أن المثل الأول متضمن لحصول
الظلمة التي هي الضلال والحيرة التي ضدها
الهدى والمثل الثاني متضمن لحصول
الخوف الذي ضده الأمن فلا هدى ولا أمن
(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك
لهم الأمن وهم مهتدون) قال ابن

عباس وغيره من السلف مثل هؤلاء في
نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة
في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله فاتقى
مما يخاف فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره
فبقي في ظلمة خائفا متحيرا كذلك
المنافقون باظهار كلمة الايمان آمنوا على
أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين
ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم

فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف قال
مجاهد إضاءة النار لهم إقبالهم إلى
المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم
إلى المشركين والضلالة وقد فسرت تلك
الإضاءة وذهاب النور بأنها في الدنيا
وفسرت بالبرزخ وفسرت بيوم القيامة
والصواب أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة
فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في
البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم (جزاء
وفاقا) (وما ربك بظلام للعبيد) فإن
المعاد يعود على العبد فيه ما كان حاصله
في الدنيا ولهذا يسمى يوم الجزاء (ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)
ومن كان مستوحشا مع الله بمعصيته إياه
في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ يوم

المعاد أعظم وأشد ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث فيموت العبد على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه ويعود عليه عمله بعينه فينعم به ظاهراً وباطناً فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة وقرّة العين والنعيم وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه واغتباطه ما هو أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذّه وهل نعيم إلا طيب النفس وفرح القلب وسروره وانشراحه واستبشاره هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيّه نفسه وتلذّ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذّها الأعين ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه

مرتبة الاحسان فيه وبحسب تنوعه فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها والالتذاز هناك على حسب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها من هذه الدار وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرا وجزاء ولذة وألما يخصه لا يشبه أثر الآخر وجزاه ولهذا تنوعت لذات أهل الجنة وآلام أهل النار وتنوع ما فيهما من الطيبات والعقوبات فليست لذة من ضرب في كل مرضاة الله بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من أنمى سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته كآلم من ضرب بسهم واحد

من مساخطه وقد أشار النبي إلى أن كمال ما يستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا فرأى (....قنوا من حشف معلقا في المسجد للصدقة فقال إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة) فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله فيجزى على تلك الصدقة بحشف من جنسها .

وهذا الباب يفتح لك أبوابا عظيمة من فهم المعاد وتفاوت الناس في أحواله وما يجري فيه من الأمور فمنها خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره فإنه بحسب خفة وزره وثقله إن خف خف وإن ثقل ثقل .

ومنها استظلاله بظل العرش أو ضحاؤه للحر والشمس إن كان له من الأعمال

الصالحة الخالصة والايمان مما يظله في
هذه الدار من حر الشرك والمعاصي والظلم
استظل هناك في ظل أعماله تحت عرش
الرحمن وإن كان ضاحيا هنا للمعاصي
والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك
للحر الشديد

ومنها طول وقوفه في الموقف ومشقته
عليه وتهوينه عليه إن طال وقوفه في
الصلاة ليلا ونهارا لله وتحمل لأجله المشاق
في مرضاته وطاعته خف عليه الوقوف في
ذلك اليوم وسهل عليه وإن آثر الراحة هنا
والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف
هناك واشتدت مشقته عليه وقد أشار الله
تعالى إلى ذلك في قوله (إنا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك بكرة
وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا

طويلا إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا) فمن سبح الله ليلا
طويلا لم يكن ذلك اليوم ثقيلا عليه بل كان
أخف شيء عليه

ومنها أن ثقل ميزانه هناك بحسب تحمل
ثقل عمل الحق في هذه الدار لا بحسب
مجرد كثرة الأعمال وإنما يثقل الميزان
باتباع الحق والصبر عليه وبذله إذا سئل
وأخذه إذا بذل كما قال الصديق في وصيته
لعمري رضي الله عنهما (واعلم أن لله حقا
بالليل لا يقبله بالنهار وله حق بالنهار لا يقبله
بالليل واعلم أنه إنما ثقلت موازين من ثقلت
موازينه باتباعهم الحق وثقل ذلك عليهم في
دار الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الحق أن
يكون ثقيلاً وإنما خفت موازين من خفت
موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في دار

الدنيا خفته عليهم وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً..)

ومنها أن ورود الناس الحوض وشربهم منه يوم العطش الأكبر بحسب ورودهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشربهم منها فمن وردها في هذه الدار وشرب منها وتضاعف ورد هناك حوضه وشرب منه وتضاعف له صلى الله عليه وسلم حوضان عظيمان حوض في الدنيا هم الشاربون من حوضه يوم القيامة فشارب ومحروم ومستقل ومستكثر والذين يذودهم هو والملائكة عن حوضه يوم القيامة هم الذين كانوا يذودون أنفسهم وأتباعهم عن سنته ويؤثرون عليها غيرها فمن ظمأ من سنته في هذه الدنيا ولم يكن له منها شرب فهو فهو الآخرة أشد ظمأً وأحر كبدًا وإن الرجل ليلقى الرجل

فيقول يا فلان أشربت فيقول نعم والله
فيقول لكني والله ما شربت واعطشاه .

فرد أيها الظمان والورد ممكن فإن
لم ترد فاعلم بأنك هالك

وإن لم يكن رضوان يسقيك شربه
سيسقيها إذ أنت ظمان مالك

وإن لم ترد في هذه الدار حوضه
ستصرف عنه يوم يلقاك أنك

ومنها : قسمه الأنوار في الظلمة دون
الجسر فإن العبد يعطى من النور هناك
بسحب قوة نور إيمانه ويقينه وإخلاصه
ومتابعته للرسول في دار الدنيا فمنهم : من
يكون نوره كالشمس ودون ذلك كالقمر
ودونه كأشد كوكب في السماء إضاءة.

ومنهم من يكون نوره كالسراج في قوته
وضعفه وما بين ذلك .

ومنهم من يعطى نور على إبهام قدمه
يضئ مرة ويطفي اخرى بحسب ما كان معه
من نور الإيمان في دار الدنيا فهو هذا النور
بعينه أبرزه الله لعبده في الآخرة ظاهراً
يرى عياناً بالأبصار ولا يستضيء به غيره ولا
يمشي أحداً إلا في نور نفسه إن كان له نور
مشى في نوره وإن لم يكن له نور أصلاً لم
ينفعه نور غيره .

ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له
نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا
له مادة من الإيمان أعطي في الآخرة نورا
ظاهراً لا مادة له ثم يطفأ عنه أحوج ما كان
إليه.

ومنها أن مشيهم على الصراط في
السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم
وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا

فأسرعهم سيرا هنا أسرعهم هناك وأبطأهم
هنا أبطأهم هناك واشدهم ثباتا على الصراط
المستقيم هنا أثبتهم هناك ومن خطفته
كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة
هنا خطفته الكلايب التي كأنها شوك
السعدان هناك ويكون تأثير كلابيب
الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا فجاج
مسلم ومخدوش مسلم ومخردل أي مقطع
بالكلايب مكردس في النار كما أثر فيهم
تلك الكلايب في الدنيا (جزاء وفاقا) (وما
ربك بظلام للعبيد).

والمقصود أن الله تبارك وتعالى ضرب
لعباده المثليين المائي والناري في سورة
البقرة وفي سورة الرعد وفي سورة النور
لما تضمن المثلان من الحياة والاضاءة
فالمؤمن حي القلب مستنيره والكافر

والمناقق ميت القلب مظلمه وقال الله تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس... الآية) وقال تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات) فجعل من اهتدى بهداه واستنار بنوره بصيرا حيا في ظل يقيه من حر الشبهات والضلال والبدع والشرك مستنيرا بنوره والآخر أعمى ميتا في حر الكفر والشرك والضلال منغمسا في الظلمات وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) الآية وقد اختلفوا في مفسر الضمير من قوله تعالى (ولكن جعلناه نورا) فقليل هو الايمان لكونه أقرب المذكورين

وقيل هو الكتاب فإنه النور الذي هدى به عباده .

قال شيخنا والصواب أنه عائد على الروح المذكور في قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا...الآية) فسمى وحيه روح لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة ومن عدمها فهو ميت لا حي والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله فمن لم يحيا به في الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث دار الدنيا ودار البرزخ ودار الجزاء أعظمهم نصيبا من الحياة بهذه الروح.

وسماه روحا في غير موضع من القرآن
كقوله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش
يلقي الروح من أمره على من يشاء من
عباده لينذر يوم التلاق) وقال تعالى(نزل
الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من
عباده أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) .
وسماه نورا لما يحصل به من استنارة
القلوب وإضاءتها وكمال الروح بهاتين
الصفتين بالحياة والنور ولا سبيل إليهما إلا
على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه
عليهم والاهتداء بما بعثوا به وتلقي العلم
النافع والعمل الصالح من مشكاتهم وإلا
فالروح ميتة مظلمة وإن كان العبد مشارا
إليه بالزهد والفقه والفضيلة والكلام في
البحوث فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي
أوحاه الله تعالى إلى رسوله وجعله نورا

يهدى به من يشاء من عباده وراء ذلك كله
فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام
ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها
وحقها من باطلها وما هو من مشكاة النبوة
مما هو من آراء الرجال ويميز النقد الذي
عليه سكة أهل المدينة النبوية الذي لا يقبل
الله عز وجل ثمننا لجنته سواء من النقد الذي
عليه سكة جنكسخان ونوابه من الفلاسفة
والجهمية والمعتزلة وكل من اتخذ لنفسه
سكة وضربا ونقدا يروجه بين العالم فهذه
الأثمان كلها زيوف لا يقبل الله سبحانه
وتعالى في ثمن جنته شيئا منها بل ترد على
عاملها أحوج ما يكون إليها وتكون من
الأعمال التي قدم الله تعالى عليها فجعلها
هباء منثورا ولصاحبها نصيب وافر من قوله
تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا

الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا (وهذا حال
أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل
أو على غير سنة رسول الله وحال أرباب
العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة
النبوة ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال
وكناسة أفكارهم فاتبعوا قواهم وأفكارهم
وأذهانهم في تقرير آراء الرجال والانتصار
لهم وفهم ما قالوه وبثه في المجالس
والمحاضر وأعرضوا عما جاء به الرسول
صفحا ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات
طلبا للفضيلة

وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى
النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال
عليه ورد ما يخالفه منها وقبول ما وافقه ولا
يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا

أشرقت عليها شمس الوحي وشهد لها
بالصحة فهذا أمر لا تكاد ترى أحدا منهم
يحدث به نفسه فضلا عن أن يكون أخيته
ومطلوبه وهذا الذي لا ينجي سواه فوارحمتا
لعبد شقي في طلب العلم واستفرغ فيه
قواه واستعد فيه أوقاته وآثره على ما الناس
فيه والطريق بينه وبين رسول الله مسدود
وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده
والإناية إليه والتوكل عليه والتنعيم بحبه
والسرور بقربه مطرود ومصدود وقد طاف
عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا
بأخس المطالب سبحانه الله إن هي والله إلا
فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدتها
وحيرت العقول عن طرق قصدتها تربي فيه
الصغير وهرم عليه الكبير فظنت خفافيش
الأبصار أنها الغاية التي تسابق إليها

المتسابقون والنهاية التي تتنافس فيها المتنافسون وهيئات أين الظلام من الضياء وأين الثرى من كوكب الجوزاء وأين الحرور من الضلال وأين طريقة أصحاب اليمين من طريقة أصحاب الشمال وأين القول الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم من النقل المصدق عن القائل المعصوم وأين العلم الذي سنده محمد بن عبد الله عن جبرائيل صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين سبحانه وتعالى من الخوض الخرص الذي سنده شيوخ الضلال من الجهمية والمعتزلة وفلاسفة المشائين بل أين الآراء التي أعلى درجاتها أن تكون عند الضرورة سائغة الاتباع إلى النصوص النبوية الواجب على كل مسلم تحكيمها والتحاكم إليها في موارد النزاع وأين الآراء التي نهى

قائلها عن تقليده فيها وحض على النصوص
التي فرض على كل عبد أن يهتدي بها
ويتبصر .

وأين الأقوال والآراء التي إذا مات
أنصارها والقائمون بها فهي من جملة
الأموات إلى النصوص التي لا تزول إلا إذا
زالت الأرض والسموات .

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان
ناظرتان وتبين الرشد من الغي لمن له
اذنان واعيتان لكن عصفت على القلوب
أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفات
فأطفأت مصابيحها وتحكمت فيها أيدي
الشهوات فاغلقت أبواب رشدها وأضاعت
مفاتيحها واران عليها كسبها وتقليدها لآراء
الرجال فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها
منقذا وتمكنت فيها اسقام الجهل والتخليط

فلم تنتفع معها بصالح الغذاء واعجبا جعلت
غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا
تغني من جوع ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله
تعالى ونص نبيه المرفوع واعجبا كيف
اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ
فيها والصواب وعجزت عن الاهتداء بمطالع
الأنوار ومشارقتها من السنة والكتاب فأقرت
بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة
السنة والقرآن ثم تلقته من رأي فلان ورأي
فلان سبحان الله ماذا حرم المعرضون
عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من
مشكاتها من الكنوز والذخائر وماذا فاتهم
من حياة القلوب واستنارة البصائر قنعوا
بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكرا
وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا وأوحى
بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا

فاتخذوا الأجل ذلك القرآن مهجورا درست
معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها
ودثرت معاهدة عندهم فليسوا يعمرونها
ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها
وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها
وكسفت شمسها عند اجتماع ظلم آرائهم
وعقدوها فليسوا يثبتونها خلعوا نصوص
الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن
ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التحريف
بالتأويلات الباطلة فلا يزال يخرج عليها من
جيوشهم المخدولة كمين بعد كمين نزلت
عليهم نزول الضيف على أقوام لئام
فعاملوها بغير ما يليق بها من الاجلال
والاكرام وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في
صدورها والأعجاز قال مالك عندنا من عبور
وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز أنزلوا

النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه
الأزمان له السكة والخطبة وما له حكم نافذ
ولا سلطان حرموا والله الوصول بخروجهم
عن منهج الوحي وتضييع الأصول وتمسكوا
باعجاز لا صدور لها فخانتهم أحرص ما كانوا
عليها وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا
اليها حتى إذا بعثر ما في القبور وحصل ما
في الصدور وتميز لكل قوم حاصلهم الذي
حصلوه وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه
وقدموا على ما قدموه وبدا لهم من الله ما
لم يكونوا يحتسبون وسقط في أيديهم عند
الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه فيا شدة
الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده
هباء منشورا ويا عظم المصيبة عندما تبين
بوارق آماله وأمانيه خلبا وغرورا فما ظن
من انطوت سريرته على البدعة والهوى

والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى يوم
تبلى السرائر وما عذر من نبذ كتاب الله
وسنة رسوله وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه
الظالمين المعاذر أفيظن المعرض عن كتاب
الله وسنة رسوله أن ينجو غدا بآراء الرجال
ويخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة
البحوث والجدال أو ضروب الأقيسة وتنوع
الأشكال أو بالشطحات والمشارت وأنواع
الخيال هيهات والله لقد ظن أكذب الظن
ومنى نفسه أبين المحال وإنما ضمنت
النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره
وتزود التقوى وأتم بالدليل وسلك الصراط
المستقيم واستمسك من التوحيد واتباع
الرسول بالعروة الوثقة التي لا انفصام لها
والله سميع عليم.



[فصل في التوحيدين اللذين عليهما]

[مدار كتاب الله تعالى]

وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق
التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله
تعالى وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى
رسوله واليهما دعت الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم :
أحدهما التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي
المتضمن إثبات صفات الكمال لله
تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل
وتنزيهه عن صفات النقص .

والتوحيد الثاني عبادته وحده لا شريك
له وتجريد محبته والاخلاص له وخوفه
ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربا وإلاها
ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من
الأشياء وقد جمع سبحانه وتعالى هذين
النوعين من التوحيد في سورتي الاخلاص
وهما: سورة (قل يا أيها الكافرون)
المتضمن للتوحيد العملي الاداري وسورة
(قل هو الله أحد) المتضمنة للتوحيد
العلمي الخبري.

فسورة (قل هو الله أحد) بها بيان ما
يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما
يجب تنزيهه من النقائص والأمثال وسورة
(قل يا أيها الكافرون) فيها إيجاب عبادته
وحده لا شريك له والتبريء من عبادة كل ما
سواه ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ولهذا

كان النبي يقرأ بهاتين السورتين في سنة
الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة
العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا
وخاتمته توحيدا

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدان
التعطيل والتشبيه والتمثيل فمن نفى صفات
الرب عز وجل وعطلها كذب تعطيله توحيده
ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه
وتمثيله توحيده

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان
الاعراض عن محبته والانابة اليه والتوكل
عليه والاشراك به في ذلك واتخاذ أوليائه
شفعاء من دونه وقد جمع سبحانه وتعالى
بين التوحيدين في غير موضع من القرآن
فمنها قوله تعالى (يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا
والسمااء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله
أندادا وأنتم تعلمون) ومنها قوله تعالى (
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا إن الله لذوا فضل على الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله
ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى
تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قرارا
والسمااء بناء وصوركم فأحسن صوركم
ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك
الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب
العالمين) ومنها قوله تعالى (الله الذي
خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة

أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر
من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم
كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم)



[الرد على الملاحدة والمعطلة]

[إثبات استواء الرب على العرش

[بالآيات القرآنية]

وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقوله (خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام) يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وإن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازما لذاته أزلا وأبدا غير مخلوق كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب وشهدت به العقول والفطر وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون ليس على العرش شيء سوى العدم وأن الله ليس مستويا على عرشه ولا ترفع اليه الأيدي ولا يصعد اليه الكلم الطيب

ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام اليه ولا
عرج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
إليه ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل
من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا
غيره ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا
ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من
فوقهم ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة
عيانا بأبصارهم من فوقهم ولا تجوز الإشارة
اليه بالأصابع إلى فوق كما أشار اليه النبي
صلى الله عليه وسلم في أعظم مجامعه
في حجة الوداع وجعل يرفعه إصبغه إلى
السماء وينكبها إلى الناس ويقول اللهم
أشهد

إثبات استواء الله على عرشه بالكتاب:]

قال شيخ الإسلام وهذا كتاب الله من
أوله إلى آخره وسنة رسوله وكلام الصحابة

والتابعين وكلام سائر الائمة مملوء مما هو
نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى
فوق كل شيء وإنه فوق العرش فوق
السموات مستو على عرشه مثل قوله
تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه) وقوله تعالى (إذ قال الله
يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) وقوله
تعالى (بل رفعه الله إليه) وقوله
تعالى (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح
إليه) وقوله تعالى (يدبر الأمر من السماء
إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقوله تعالى
(يخافون ربهم من فوقهم) وقوله
تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع
سموات) وقوله تعالى (إن ربكم الله
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام

ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره إلا له الخلق والأمر تبارك
الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية
إنه لا يحب المعتدين) وقوله تعالى (إن
ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في
ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر
ما من شافع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم
فأعبدوه أفلا تذكرون) فذكر التوحيد في
هذه الآية وقوله تعالى (تنزيلا ممن خلق
الأرض والسموات العلى) (الرحمن على
العرش استوى) وقوله تعالى (وتوكل على
الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به
بذنوب عباده خيرا الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى
على العرش الرحمن فاسئل به خيرا)

وقوله تعالى (هو الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)
فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم
احاطته وعموم رؤيته وقوله تعالى (أأمنتم
من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا
هي تمور أم أمنتهم من في السماء أن يرسل
عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير)
وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد)
وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم) وقوله تعالى (وقال فرعون يا
هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى
وإني لأظنه كاذبا)

قال أبو الحسن الأشعري وقد احتج
بهذه الآية على الجهمية فكذب فرعون
موسى عليه السلام في قوله إن الله فوق
السموات وسيأتي إن شاء الله تعالى حكاية
كلامه بحروفه

[إثبات استوائه جل وعلا بالأحاديث

الصحيحة]

وأما الأحاديث فمنها قصة المعراج
وهي متواترة وتجاوز النبي السموات سماء
سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه
وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة
فلم يزل بين موسى عليه السلام وبين ربه
تبارك وتعالى وينزل من عند ربه تعالى إلى
عند موسى فيسأله كم فرض عليك فيخبره

فيقول ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف
وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (لما خلق الله الخلق كتب في كتاب
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب
غضبي وفي لفظ آخر كتب في كتابه على
نفسه فهو موضوع عنده أن رحمتي تغلب
غضبي) وفي لفظ (وهو وضع عنده على
العرش) وفي لفظ (وهو مكتوب عنده فوق
العرش) وهذه الألفاظ كلها في صحيح
مسلم وفي صحيح البخاري عن أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه قال (قام فينا
رسول الله بخمس كلمات فقال ان الله لا
ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط
ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار

وعمل النهار قبل الليل حجابہ النور لو
كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
بصره من خلقه) وذكر البخاري في كتاب
التوحيد في صحيحه حديث أنس رضي الله
عنه حديث الاسراء وقال (فيه ثم علا به
يعني جبرائيل فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله
حتى جاوز سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى
فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة ثم
هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه وقال يا
محمد ماذا عهد إليك ربك قال عهد إلي
خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ان
أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك
ربك وعنهم فالتفت النبي إلى جبرائيل كأنه
يستشيره في ذلك فإشار إليه جبريل أن نعم
ان شئت فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى

فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا... وذكر
(الحديث)

وفي الصحيحين عن الأعرج عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم
يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو
أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم
وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون ولما
حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني
قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم
وتغنم أموالهم قال له النبي لقد حكمت
فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة
وفي لفظ من فوق سبع سموات وأصل
القصة في الصحيحين وهذا السياق لمحمد
بن إسحاق في المغازي

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد
رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب
إلى النبي بذهبية في أديم مقروض لم
تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة بين
عبيدة بن بدر والأقرع بن حابس وزيد الخيل
والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل قال
رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من
هؤلاء فبلغ النبي فقال ألا تأمنوني وأنا أمين
من في السماء يأتيني خبر السماء مساء
وصباحا وفي صحيح مسلم عن معاوية بن
الحكم السلمي رضي الله عنه قال لطمت
جارية لي فأخبرت رسول الله فعظم ذلك
علي فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال
بلى ائتني بها قال فجئت بها رسول الله
فقال لها أين الله قالت في السماء قال

فمن أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها
فإنها مؤمنة

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال كانت زينب رضي الله
عنها تفتخر على أزواج النبي وتقول زوجكن
أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات
وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن
مطعم قال جاء إعرابي إلى النبي فقال يا
رسول الله نهكت الأنفس وجام العيال
ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق
الله لنا فإننا نستشفع بك على الله
ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويحك أتدري ما تقول ؟
وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه
فقال ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد

من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك
أتدري ما الله ؟ إن عرشه على سماواته
لهكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه وانه
ليئط به أطيظ الرجل بالراكب.

وفي سنن أبي داود أيضا ومسنند الإمام
أحمد من حديث العباس ابن عبد المطلب
رضي الله عنه قال كنت في البطحاء في
عصابة وفيهم رسول الله فمرت سحابة
فنظر إليها وقال ما تسمون هذه قالوا
السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال
والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد
ما بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال ان
بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث
وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى
عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة
بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى

سماء ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين
أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى
سماء وفوق ظهورهم العرش أسفله وأعلاه
مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله عز وجل
فوق ذلك زاد أحمد وليس يخفى عليه شيء
من أعمال بني آدم.

[مسند الإمام أحمد ج 1 ص 206 وهذا
الحديث ضعيف جداً انظر العرش لابن ابي
شيبه ص 55- 56 المتن والحاشية وذكرنا
درجة هذا الحديث لكثرة الغلط الدائر حوله
[-

وفي سنن أبي داود أيضا عن فضالة بن
عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله يقول من اشتكى منكم
أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في
السماء تقدس اسمك أمرك في السماء

والأرض كما رحمتك في السماء اجعل
رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا
أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك
وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ
وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي بجارية
سوداء أعجمية فقال يا رسول الله أن علي
رقبة مؤمنة فقال لها رسول الله أين الله
فاشارت بأصبعها السبابة إلى السماء فقال
لها من أنا فاشارت بأصبعها إلى رسول الله
وإلى السماء أي أنت رسول الله فقال
اعتقها . وفي جامع الترمذي عن عبد الله
بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء قال

الترمذي حديث حسن صحيح وفي جامع
الترمذي أيضا عن عمران بن حصين قال
قال رسول الله يا حصين كم تعبد اليوم إلها
قال أبي سبعة ستة في الأرض وواحد في
السماء قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال
الذي في السماء قال يا حصين اما أنك لو
اسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك قال فلما
أسلم حصين قال يا رسول الله علمني
الكلمتين اللتين وعدتني قال قل اللهم
ألهمني رشدي وأعدني من شر نفسي .
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي قال والذي نفسي بيده ما
من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى
عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها
حتى يرضى عنها وروى الشافعي في
مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله

عنه قال أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة
سوداء إلى النبي فقال النبي ما هذه يا
جبريل قال هذه الجمعة فضلت بها أنت
وأمتك فالناس لكم تبع اليهود والنصارى
ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن
يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم
المزید فقال النبي يا جبريل وما يوم المزید
فقال إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح فيه
كثب من مسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل
الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله
منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك
المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت
والزبرجد عليها الشهداء والصديقون
فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول
الله عز وجل (أنا ربكم قد صدقتكم وعدي
فاستلوني أعطكم) فيقولون ربنا نسألك

رضوانك فيقول (قد رضيت عنكم ولكم ما
تمنيتم ولدي مزيد) فهم يحبون يوم
الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو
اليوم الذي استوى فيه ربك سبحانه وتعالى
على العرش وفيه تقوم الساعة
ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر
بن أبي داود في جزء وفي سنن ابن ماجه
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
قال قال رسول الله وبينما أهل الجنة في
نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم
فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من
فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال
وذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب
رحيم) قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا
يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا
ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره

وبركته عليهم في ديارهم وفي الصحيحين
من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب
طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله
يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي
أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وفي
صحيح ابن حبان عن أبي عثمان النهدي عن
سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي
قال إن ربكم حي كريم يستحي من عبده
إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا وروى ابن
وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن
زهرة ابن معبد عن ابن عمر رضي الله
عنهما أخبره أنه سمع عقبة بن عامر رضي
الله عنه يقول قال رسول الله من توضأ
فأحسن وضوءه ثم رفع نظره إلى السماء

فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي قال فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه وذكر الحديث وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين هكذا قال في داره في المواضع الثلاث يريد مواضع الشفاعات التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه وروى يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه من طريق محمد بن إسحق قال خرج عبد أسود لبعض أهل خيبر حتى جاء رسول الله فقال من هذا قالوا رسول الله قال الذي في السماء قالوا نعم

قال أنت رسول الله قال نعم قال الذي في
السماء قال نعم فأمره رسول الله بالشهادة
فتشهد فقاتل حتى استشهد وروى عدي
بن عميرة الكندي عن علي رضي الله عنه
أن رسول الله حدث عن ربه عز وجل قال
وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما
من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا
على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها
إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم
عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من
رحمتي رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش
وأبو أحمد العسال في كتاب المعرفة وصح
عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد
مسلم قال قال رسول الله إن لله ملائكة
سيارة يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا
مجلس ذكر جلسوا معهم فإذا تفرقوا صعّدوا

إلى ربهم وأصل الحديث في صحيح مسلم
ولفظه فإذا تفرقوا سعدوا إلى السماء
فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين
جئتم.. الحديث

وذكر الدارقطني في كتاب نزول الرب عز
وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا من حديث
عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ينزل
الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث
الليل الآخر فيقول ألا عبد من عبادي يدعوني
فأستجيب له إلا ظالم لنفسه يدعوني فأفكه
فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على
كرسيه وعن جابر بن سليم قال سمعت
رسول الله يقول إن رجلا ممن كان قبلكم
لبس بردين فتبختر فنظر الله فنظر الله إليه
من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته
فهو يتجلجل فيها رواه الدارمي عن سهل بن

بكار أحد شيوخ البخاري وله شاهد في
صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما
قال قال رسول الله اقبلوا البشرى يا بني
تميم قالوا بشرتنا فاعطنا قال اقبلوا
البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم
قالوا قد بشرتنا فاقض لنا على هذا الأمر
كيف كان فقال كان الله عز وجل على
العرش وكان قبل كل شيء وكتب في اللوح
المحفوظ كل شيء يكون حديث صحيح
أصله في البخاري وروى الخلال في كتاب
السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن
قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله يقول لما فرغ الله من خلقه
استوى على عرشه وفي قصة وفاة النبي

من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي قال
لعلي رضي الله عنه إذا أنا مت فاغسلني
أنت وابن عباس يصب الماء وجبرائيل
ثالثكما وكفني في ثلاثة أثواب بيض جدد
وضعوني في المسجد فإن أول من يصلي
علي الرب عز وجل من فوق عرشه وقد
روي في حديث خطبة علي رضي الله عنه
لفاطمة رضي الله عنها أن النبي لما
استأذنها قالت يا أبت كأنك إنما أدرتني
لفقير قريش فقال والذي بعثني بالحق نبيا
ما تكلمت بهذا حتى أذن الله فيه من السماء
فقلت رضيت بالله وبما رضي الله لي
وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن
عباس رضي الله عنهما قصة الشفاعة
الحديث بطوله مرفوعا وفيه فآتي ربي عز
وجل فأجده على كرسيه أو سريره جالسا

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله قال يأتوني فأمشي بين أيديهم حتى آتي باب الجنة وللجنة مصراعان من ذهب مسيرة ما بينهما خمسمائة عام قال معبد فكأنني أنظر إلى أصابع أنس حين فتحها يقول مسيرة ما بينهما خمسمائة عام فاستفتح فيؤذن لي فادخل على ربي فأجده قاعدا على كرسي العز فأخر له ساجدا رواه خشيش بن أصرم النسائي في كتاب السنة له وذكر عبد الرزاق عن معمر عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا وله في كل سماء كرسي فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم يقول من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يتوب

فأتوب عليه فإذا كان عند الصبح ارتفع
فجلس على كرسية رواه أبو عبد الله في
مسنده وروي عن سعيد مرسلًا وموصولًا
قال الشافعي رحمه الله تعالى مرسل سعيد
عندنا حسن وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله إذا جمع الله الخلائق
حاسبهم فيميز بين أهل الجنة وأهل النار
وهو في جنته على عرشه قال محمد بن
عثمان الحافظ هذا حديث صحيح وعن جابر
بن سليم قال سمعت رسول يقول إن رجلا
ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فنظر
الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض
فاخذته حديث صحيح وروي عبد الله بن بكر
السهمي حدثنا يزيد بن عوانة عن محمد بن
ذكوان عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما قال كنا جلوسا ذات

يوم بفناء رسول الله إذ مرت بنا امرأة من
بنات رسول الله فقال رجل من القوم هذه
ابنة رسول الله فقال أبو سفيان ما مثل
محمد في بني هاشم إلا كمثل ريحانة في
وسط الذبل فسمعت تلك المرأة فأبلغته
رسول الله فخرج رسول الله أحسبه قال
مغضبا فصعد على منبره وقال ما بال اقوال
تبلغني عن أقوام أن الله خلق سمواته سبعا
فاختار العليا فسكنها وأسكن سمواته من
شاء من خلقه وخلق أرضين سبعا فاختار
العليا فأسكن فيها من خلقه واختر خلقه
فاختار بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار
العرب ثم اختار مضر فاختار قريشا ثم اختار
قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختاروني فلم أزل من خيار إلا من أحب
قريشا فبحبي أحبهم ومن أبغض قريشا

فببغضني أبغضهم وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي ذئب عن محمد ابن عمر وعن عطاء عن سعيد بن يسار رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا إخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب إخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى وإذا كان الرجل السوء قال إخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث إخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا

بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث
ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء
فترسل من السماء ثم نصبر إلى القبر
وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث
البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله
في جنازة رجل من الأنصار وانتهينا إلى القبر
ولم يلحد فجلس رسول الله وجلسنا حوله
كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت
به الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله
من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال إن
العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا
وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من
السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس
معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من
حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم
يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه

فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى
مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل
كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها
فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين
حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي
ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة
مسك على وجه الأرض قال فيصعدون بها
فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما
هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان
بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا
حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له
فيشيعة من كل سماء مقربوها إلى السماء
التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء
السابعة فيقول الله تعالى (اكتبوا كتاب
عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني
منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم

تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك
فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول
ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به
وصدقت فينادي مناد من السماء إن صدق
عبدى فافرشوه من الجنة والبسوه من
الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه
من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد
بصره قال ويأتيه رجل من أحسن الناس
وجها حسن الثياب طيب الرائحة فيقول
أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت
توعد فيقول له من أنت فوجهك وجه الذي
يأتي بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول
رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي

وذكر الحديث وهو صحيح صححه جماعة من
الحفاظ وقال عثمان بن سعيد الدارمي
الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام حدثنا
موسى بن إسماعيل حدثنا حماد وهو ابن
سلمة حدثنا عطاء بن السائب عن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما أن رسول الله قال لما أسري بي
مررت برائحة طيبة فقلت يا جبرائيل ما هذه
الرائحة الطيبة قال هذه رائحة ماشطة ابنة
فرعون وأولادها كانت تمشطها فوق
المشط من يدها فقلت بسم الله تعالى
فقلت ابنته أبي قالت لا ولكن ربي ورب
أبيك الله فقالت أخبر بذلك أبي قالت نعم
فأخبرته فدعا بها فقال من ربك هل لك رب
غيري قالت ربي وربك الله الذي في السماء
فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها

وبولدها فألقاهما فيها وساق الحديث بطوله
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله كان ملك الموت يأتي الناس
عيانا فأتى موسى فلطمه فذهب بعينه فعرج
إلى ربه فقال بعثتني إلى موسى فلطمني
فذهب بعيني ولولا كرامته عليك لشققت
عليه فقال إرجع إلى عبدي فقل له فليضع
يده على متن ثور فله بكل شعرة توارت
بيده سنة يعيشها فأتى فبلغه ما أمره به
فقال ما بعد ذلك قال الموت قال الآن
فشمه شمة قبض روحه فيها ورد الله على
ملك الموت بصره هذه حديث صحيح أصله
وشاهده في الصحيحين وقال أيضا حدثنا
ابن هشام الرفاعي حدثنا إسحاق بن
سليمان حدثنا أبو جعفر الرازي عن عاصم
بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله لما ألقى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه عجت من ملكين نزلا يلتمسان عبدا في مصلاه كان يصلي فيه فلم يجداه فعرجا إلى الله فقالا اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمل رواه ابن أبي الدنيا وله شاهد في البخاري وفي حديث عبد الله بن أنيس الأنصاري الذي رحل إلى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه من المدينة إلى مصر حتى سمع منه وقال له بلغني أنك تحدث بحديث في القصاص عن رسول الله لم أشهده وليس أحد أحفظ له منك قال نعم سمعت رسول الله يقول إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غر لا بهما ثم يجمعهم ثم ينادي وهو

قائم على عرشه وذكر الحديث احتج به أئمة
أهل السنة أحمد ابن حنبل وغيره وروى
الحارث بن أبي أسامة في مسنده من
حديث عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن
غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن
النبي قال إن الله ليكره في السماء أن
يخطأ أبو بكر في الأرض ولا تعارض بين هذا
الحديث وبين قول النبي له رضي الله عنه
في حديث الرؤيا أصبت بعضا وأخطأت بعضا
لوجهين

أحدهما أن الله سبحانه وتعالى يكره
تخطئة غيره من آحاد الأمة لا تخطئة
الرسول له في أمر ما فإن الحق والصواب
مع رسول الله قطعاً بخلاف غيره من الأمة
فإنه إذا أخطأ الصديق رضي الله عنه لم
يتحقق أن الصواب معه بل ما تنازع الصديق

وغيره في أمر ما إلا وكان الصواب مع
الصديق رضي الله عنه

الثاني أن التخطئة هنا نسبة إلى الخطأ
العمد الذي هو الأثم كما قال تعالى إن
قتلهم كان خطأ كبيرا لا من الخطأ الذي هو
ضد العلم والتعمد والله أعلم.

وروى أبو نعيم من حديث شعبة عن
الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله إن العبد ليشرف
على حاجة من حاجات الدنيا فيذكره الله من
فوق سبع سموات فيقول ملائكتي إن عبدي
هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا
فإن فتحتها له فتحت له بابا من أبواب النار
ولكن أزوها عنه فيصبح العبد عاضا على
أنامله فيقول من دهاني من سبقني وما هي
إلا رحمة رحمه الله بها

وفي مسند الإمام أحمد من حديث
أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قلت يا
رسول الله ما أراك تصوم من شهر من
الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر
يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو
شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز
وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم
وفي الثقفيات من حديث جابر بن سليم
رضي الله عنه عن النبي أن رجلا ممن كان
قبلكم لبس بردين فتبختر فيهما فنظر الله
إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض
فأخذته فهو يتجلجل في الأرض فاحذروا
معاصي الله وأصله في الصحيح وقال أبو
بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدة بن سليمان عن
أبي حيان عن حبيب بن أبي ثابت أن حسان
بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول
الذي فوق السموات من عل
وإن أبا الأحقاف إذ قام فيهم يقول
بذات الله فيهم ويعدل
وإن أبا يحيى ويحيى كلاهما له
عمل من ربه متقبل
وقال شيخ الإسلام أخبرنا علي بن بشر
أخبرنا ابن منده أخبرنا خيثمة بن سليمان
حدثنا السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن
أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن اليهود أتوا النبي فسألوه
عن خلق السموات والأرض فذكر حديثا
طويلا قال ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى
على العرش قال أصبت يا محمد لو أتممت
ثم استراح فغضب غضبا شديدا فأنزل الله

(و لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما
في ستة أيام وما مسنا من لغوب)

[فصل فيما حفظ عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم وعن صحابته
والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من
ذلك]

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن
فضيل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر قال
لما قبض رسول الله قال أبو بكر رضي الله
عنه أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي
تعبدونه فإن إلهكم قد مات وإن كان إلهكم
الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يموت ثم
تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل... حتى ختم الآية) وقال البخاري

في تاريخه قال محمد بن فضيل عن فضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما قبض رسول الله دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وقال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر الحديث وفيه أن رسول الله أشار إلى أبي بكر أن أمكث مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ثم استأخر فذكره

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال إسماعيل عن قيس قال لما قدم
عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس
وهو على بعيره فقالوا يا أمير المؤمنين لو
ركبت برذونا ليلقاك عظماء الناس
ووجوههم فقال عمر رضي الله عنه ألا
أراكم ههنا إن الأمر من ههنا وأشار بيده إلى
السماء وقال عثمان بن سعيد الدارمي
حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جرير
بن حازم قال سمعت أبا يزيد المزني قال
لقيت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقال لها خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها وهو
يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا
منها وأصغى إليها حتى قضت حاجتها
وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين
حسبت رجالا من قريش على هذه العجوز

قال ويلك تدري من هذه قال لا قال هذه
امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع
سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم
تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى
تقضي حاجتها إلا أن تحضرني صلاة فأصليها
ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها وقال خلود
بن دعلج عن قتادة قال خرج عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه
جارود العبدي فإذا بامرأة بارزة على ظهر
الطريق فسلم عليها عمر رضي الله عنه
فردت عليه السلام وقالت إيه يا عمر
عهدتك يا عمر وأنت تسمى عميرا في سوق
عكاظ تزرع الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام
حتى سميت عمر ولم تذهب الأيام حتى
سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية
واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد

ومن خاف الموت خشى الفوت فقال
الجارود فقد اجترأت أيتها المرأة على أمير
المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعها أما
تعرفها هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله
شكواها من فوق سبع سموات فعمر أحق
أن يستمع لها قال ابن عبد البر قال وحدثنا
من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج
ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف
لها وجعل يحدثها وتحدثه فقال رجل يا أمير
المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز
قال ويحك تدري من هذه هذه امرأة سمع
الله شكواها من فوق سبع سموات الحديث
قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في
كتاب الاستيعاب روينا من وجوه صحاح أن
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشى إلى

أمة له فنالها فرأته امرأته فلامته فجحدها
فقلت له إن كنت صادقاً فاقراً القرآن فإن
الجنب لا يقرأ القرآن فقال شهدت بأن وعد
الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق
العرش رب العالمينا
وتحملة ملائكة شداد ملائكة الإله
مسومينا

فقلت آمنت بالله وكذبت عيني وكانت لا
تحفظ القرآن ولا تقرؤه .

قول عبد الله بن مسعود رضي الله

عنه قال الدارمي حدثنا موسى بن
إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة عن
عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال ما بين السماء الدنيا والتي تليها
خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة

خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين
الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى
الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على
الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما
أنتم عليه وروى الأعمش عن خيثمة عنه أن
العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإشارة حتى
إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع
سموات فيقول للملك اصرفه عنه فيصرفه
عنه

قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب
السنة من حديث سعيد بن جبیر رضي الله
عنه قال تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في
ذات الله فإن بين السموات السبع إلى
كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك وفي
مسند الحسن بن سفيان وكتاب عثمان بن

سعيد الدارمي من حديث عبد الله بن أبي
مليكة أنه حدثه ذكوان قال استأذن ابن
عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي
الله عنها وهي تموت فقال كنت أحب نساء
النبي إليه ولم يكن رسول الله يحب إلا طيبا
وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات
جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من
مساجد الله يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء
الليل وآناء النهار وذكر الطبراني في
شرح السنة من حديث سفيان عن أبي
هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس إن
ناسا يكذبون بالقدر قال يكذبون بالكتاب لئن
أخذت شعر أحدهم لا يثبتونه إن الله كان
على عرشه قبل أن يخلق شيئا فخلق الخلق
فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما
يجري الناس على أمر قد فرغ منه وقال

إسحق بن راهويه أخبرنا إبراهيم بن الحكم
بن أبان عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى
ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن
أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما لم يستطع أن يقول من
فوقهم علم أن الله من فوقهم

قول عائشة رضي الله عنها

قال الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل
حدثنا جويرية بن أسماء قال سمعت نافعاً
يقول قالت عائشة رضي الله عنها وايم الله
إنني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته تعني
عثمان ولكن علم الله من فوق عرشه إنني
لم أحب قتله

قول زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي
الله عنها —

ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي
الله عنه قال كانت زينب تفتخر على أزواج
النبي وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله
من فوق سبع سموات وفي لفظ غيرهما
كانت تقول زوجنيك الرحمن من فوق عرشه
كان جبريل السفير بذلك وأنا ابنة عمك
رواه العسال

قول أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه —

قال لما لعن الله إبليس وأخرجه من
سمواته وأخزاه قال رب أخزيتني ولعنتني
وطردتني عن سمواتك وجوارك فوعزتك
لأغوين خلقت ما دامت الأرواح في
أجسادهم فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال
وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن

عبدى أذنب حتى ملأ السموات والأرض
خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد
فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها
حسنات وقد روى هذا المتن مرفوعاً ولفظه
وعزتي وجلالي وارتفاعي لو أن عبدى
وذكره رواه ابن لهيعة عن بني الهيثم عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول
الله قال إن الشيطان قال وعزتك لا أبرح
أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في
أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي
وارتفاع مكاني لا أزال أغفر ما استغفروني
قول الصحابة كلهم رضي الله عنهم

قال يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه
حدثنا البكائي عن ابن إسحق قال حدثني
يزيد بن سنان عن سعيد بن الأجد الكندي
عن العرس ابن قيس الكندي عن عدي بن

عميرة رضي الله عنه قال خرجت مهاجرا
إلى النبي فذكر قصة طويلة وقال فيها فإذا
هو ومن معه يسجدون على وجوههم
ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت
وتبعته

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله

تعالى

قال مسروق رحمه الله

قال علي بن الأقرم كان مسروق إذا
حدث عن عائشة رضي الله عنها قال حدثني
الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما
حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع
سموات

قول عكرمة رحمه الله تعالى

قال سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن
الحكم قال حدثني أبي عن عكرمة رحمه
الله تعالى قال بينما رجل مستلق على متنه
في الجنة فقال في نفسه لم يحرك شفتيه
لو أن الله يأذن لي لزرعت في الجنة فلم
يعلم إلا والملائكة على أبواب جنته قابضين
على أكفهم فيقولون سلام عليك فاستوى
قاعدًا فقالوا له يقول لك ربك تمنيت شيئًا
في نفسك قد علمته وقد بعث معنا هذا البذر
يقول لك ابذر فألقى يمينا وشمالا وبين يديه
وخلفه فخرج أمثال الجبال على ما كان
تمنى وزاد فقال له الرب من فوق عرشه
كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع
قول قتادة رحمه الله تعالى

قال الدارمي أخبرنا موسى بن إسماعيل
حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة قال قالت بنو

إسرائيل يا رب أنت في السماء ونحن في
الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك
قال إذا رضيت استعملت عليكم خياركم وإذا
غضبت استعملت عليكم شراركم

قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى

قال ابن أبي خيثمة في تاريخه حدثنا
هرون بن معروف قال حدثنا ابن ضمرة عن
صدقة التيمي عن سليمان التيمي قال لو
سئلت أين الله لقلت في السماء

قول كعب الأخبار رحمه الله تعالى

قال الليث بن سعد حدثني خالد بن
يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن يزيد بن
أسلم حدثه عن عطاء بن يسار قال أتى
رجل كعبا وهو في نفر فقال يا أبا إسحاق
حدثني عن الجبار فأعظم القوم قوله فقال
كعب دعوا الرجل فإن كان جاهلا تعلم وإن

كان عالما ازداد علما ثم قال كعب أخبرك
أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن ثم جعل ما بين كل سمائين كما بين
سماء الدنيا والأرض وكثفن مثل ذلك ثم
رفع العرش فاستوى عليه فوجه وقال نعيم
بن حماد أخبرنا أبو صفوان الأموي عن
يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد بن
المسيب عن كعب قال قال الله في التوراة
أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع
خلقي وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي لا
يخفى علي شيء من أمر عبادي في سمائي
ولا أرضي وإلي مرجع خلقي فأنبئهم بما
خفي عليهم من علمي أغفر لمن شئت منهم
بمغفرتي وأعاقب من شئت بعقابي
قول مقاتل رحمه الله تعالى

ذكر البيهقي في الأسماء والصفات عن
بكر بن معروف عن مقاتل بلغنا والله أعلم
في قوله عز وجل (هو الأول والآخر
والظاهر والباطن) الأول قبل كل شيء
والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل
شيء والباطن أقرب من كل شيء وإنما
يعني القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه
وهو بكل شيء عليم وبهذا الإسناد عنه في
قوله تعالى ألا هو معهم يقول بعلمه وذلك
قوله (إن الله بكل شيء عليم) فيعلم
نجواهم ويسمع كلامهم ثم ينبئهم يوم
القيامة بكل شيء وهو فوق عرشه وعلمه
معهم

قول الضحاك رحمه الله تعالى —

روى بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان
عنه (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم

ولا خمسة إلا هو سادسهم (قال هو الله
على العرش وعلمه معهم

[قول التابعين جملة]

روى البيهقي بإسناد صحيح إلى
الأوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول
إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ونؤمن
بما وردت السنة به من صفاته قال شيخ
الإسلام وإنما قال الإوزاعي ذلك بعد ظهور
جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه
والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب
السلف كان بخلاف قوله وقال أبو عمر بن
عبد البر في التمهيد وعلماء الصحابة
والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في
تأويل قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة
إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم)

هو على العرش وعلمه في كل مكان وما
خالفهم أحد في ذلك يحتج به

قول الحسن رحمه الله تعالى—

روى أبو بكر الهذيلي عن الحسن رحمه
الله تعالى قال ليس شيء عند ربك من
الخلق أقرب إليه من إسرافيل وبينه وبين
ربه سبعة حجب كل حجاب مسيرة

خمسمائة عام وإسرافيل دون هؤلاء ورأسه
تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة

قول مالك بن دينار رحمه الله تعالى—

ذكر أبو العباس السراج أخبرنا عبد الله
بن أبي زياد وهرون قالا حدثنا سيار قال
حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول
إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت
قلوبهم إلى الآخرة ثم يقول خذوا فيقرأون
ويقول اسمعوا إلى قوله الصادق من فوق

عرشه وكان مالك بن دينار وغيره من
السلف يذكرون هذا الأثر ابن آدم خيري اليك
نازل وشرك إلي صاعد وأتحبب إليك بالنعم
وتتبغض إلي بالمعاصي ولا يزال ملك كريم
قد عرج إلي منك بعمل قبيح

قول ربيعة بن عبد الرحمن رحمه الله

شيخ مالك بن أنس رحمة الله عليه
قال يحيى بن آدم عن أبيه عن ابن عيينة قال
سئل ربيعة عن قوله تعالى (الرحمن على
العرش استوى) قال الاستواء غير مجهول
والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة
وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق

قول عبد الله بن الكوا رحمه الله تعالى

ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر
رحمه الله تعالى في تاريخه عن هشام بن
سعد قال قدم عبد الله بن الكوا على معاوية

فقال له أخبرني عن أهل البصرة قال
يقاتلون معا ويدبرون شتى قال فأخبرني
عن أهل الكوفة قال أنظر الناس في صغيرة
وأوقعهم في كبيرة قال فأخبرني عن أهل
المدينة قال أحرص الناس على الفتنة
وأعجزهم عنها قال فأخبرني عن أهل
الموصل قال قلادة وليدة فيها من كل شيء
خرزة قال فأخبرني عن أهل مصر قال لقمة
أكل قال فأخبرني عن أهل الجزيرة قال
كناسة بين مدينتين قال فأخبرني عن أهل
الشام قال جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم
شيئا قال لتقولن قال أطوع الناس لمخلوق
وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسماء ساكنا

[قول تابع التابعين جملة رحمهم

الله تعالى]

ذكر قول عبد الله بن المبارك رحمه الله

روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم

بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن شقيق

قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول

نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على

العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما

قالت الجهمية وفي لفظ آخر قلت كيف

نعرف ربنا قال في السماء السابعة على

عرشه ولا نقول كما قالت الجهمية وقال

الدارمي حدثنا الحسن بن الصباح البزار

حدثنا علي بن الحسن ابن شقيق عن ابن

المبارك قال قيل له كيف نعرف ربنا قال

بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن

من خلقه قال الامام عثمان بن سعيد

الدارمي ومما يحقق قول ابن المبارك قول

رسول الله للجارية أين الله يمتحن بذلك

إيمانها فلما قالت في السماء أعتقها فإنها
مؤمنة والآثار في ذلك عن رسول الله كثيرة
والحجج متظاهرة والحمد لله على ذلك ثم
ساقها الدارمي رحمه الله تعالى وذكر ابن
خزيمة عن ابن المبارك أنه قال له رجل يا
أبا عبد الرحمن قد خفت من كثرة ما أدعوا
على الجهمية قال لا تخف فإنهم يزعمون أن
إلهك الذي في السماء ليس بشيء وصح
عن ابن المبارك أنه قال إنا نستطيع أن
نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن
نحكي كلام الجهمية

قول الأوزاعي رحمه الله تعالى—

قال أبو عبد الله الحاكم أخبرني محمد
بن علي الجوهرى ببغداد حدثنا إبراهيم بن
الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيبي قال
سمعت الأوزاعي يقول كنا والتابعون

متوافقون نقول إن الله تعالى ذكره فوق
عرشه ونؤمن بما وردت به السنة وهذا الأثر
يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين
فلذلك ذكرناه في الموضوعين

قول حماد بن زيد رحمه الله تعالى

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة
حدثنا أحمد بن إبراهيم قال حدثنا سليمان
بن حرب قال سمعت حماد بن زيد يقول
الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في
السماء شيء قال شيخ الإسلام وهذا الذي
كانت الجهمية يحاولونه قد صرح به
المتأخرون منهم وكان ظهور السنة وكثرة
الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين
التصريح به فلما بعد العهد وخفيت السنة
وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما

كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من
إظهاره

قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى

قال معدان سألت سفيان الثوري عن قوله
تعالى (وهو معكم أينما كنتم) قال علمه
ذكره أبو عمر قول وهب بن جرير رحمه الله
تعالى قال الأثرم حدثنا أبو عبد الله الأوسي
قال سمعت وهب بن جرير يقول إنما تريد
الجهمية أنه ليس في السماء شيء قال
وقلت لسليمان بن حرب أي شيء كان
يقول حماد بن زيد في الجهمية فقال كان
يقول إنما يريدون أنه ليس في السماء
شيء

[ذكر أقوال الأئمة الأربعة رحمهم

الله تعالى]

قول الإمام أبي حنيفة قدس الله روحه

قال البيهقي حدثنا أبو بكر بن الحارث
الفيقيه قال حدثنا أبو محمد ابن حيان أخبرنا
أحمد بن جعفر بن نصر قال حدثنا يحيى بن
يعلى قال سمعت نعيم بن حماد يقول
سمعت نوح بن أبي مريم أبا عصمة يقول
كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته
امرأة من ترمذ كانت تجالس جهميا فدخلت
الكوفة فقيل لها إن هاهنا رجلا قد نظر في
المعقول يقال له أبو حنيفة فأتته فأتته
فقلت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد
تركت دينك أين إلهك الذي تعبده فسكت
عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج
إلينا وقد وضع كتابا إن الله سبحانه وتعالى
في السماء دون الأرض فقال له رجل رأيت
قول الله تعالى (وهو معكم) قال هو كما

تكتب للرجل إني معك وأنت عنه غائب قال
البيهقي لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله
تعالى فيما نفي عن الله تعالى وتقدس من
الكون في الأرض وفيما ذكر من تأويل الآية
وتبع مطلق السمع في قوله إن الله عز
وجل في السماء

قال شيخ الإسلام وفي كتاب الفقه الأكبر
المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه
بإسناد عن أبي مطيع البلخي الحكم بن عبد
الله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر
قال لا تكفر أحدا بذنب ولا تنفي أحدا من
الإيمان وتأمرا بالمعروف وتنهي عن المنكر
وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما
أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من
أصحاب رسول الله ولا توالي أحدا دون أحد
وأن ترد أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما

إلى الله تعالى وقال أبو حنيفة رحمه الله
الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في
العلم ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه عز
وجل خير من أن يجمع العلم الكثير قال أبو
مطيع قلت فأخبرني عن أفضل الفقه قال
يتعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن
والحدود واختلاف الأئمة وذكر مسائل في
الإيمان ثم ذكر مسائل في القدر ثم قال
فقلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس
فيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك قال لا
قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسوله بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة
واجبة فقال كذلك لكن ما يفسدون أكثر
ممن يصلحون من سفك الدماء واستحلال
الحرام وذكر الكلام في قتال الخوارج

والبغاة إلى أن قال قال أبو حنيفة ومن قال
لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد
كفر لأن الله تعالى يقول (الرحمن على
العرش استوى) وعرشه فوق سبع
سموات قلت فإن قال إنه على العرش
ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم
في الأرض قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون
في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه
يدعى من أعلى لا من أسفل وفي لفظ
سألت أبا حنيفة عن يقول لا أعرف ربي
في السماء أم في الأرض قال فقد كفر لأن
الله يقول (الرحمن على العرش استوى
وعرشه فوق سبع سموات قال فإنه يقول
على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش
في الأرض أو في السماء قال إذا أنكر أنه
في السماء فقد كفر وروى هذا عن شيخ

الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري في كتابه
الفاروق بإسناده قال شيخ الإسلام أبو
العباس أحمد رحمه الله تعالى ففي هذا
الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله
عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا
أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف
يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في
السماء ولا في الأرض واحتج على كفره
بقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى
) قال وعرشه فوق سبع سموات وبين
بهذا أن قوله (الرحمن على العرش استوى
) بين في أن الله عز وجل فوق السموات
فوق العرش وأن الاستواء على العرش ثم
أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش
في السماء أو في الأرض قال لأنه أنكر أن
يكون في السماء وأن الله في أعلى عليين

وأن الله يدعى من أعلى لا من أسفل واحتج
بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من
أعلى لا من أسفل وكل من هاتين الحجتين
فطرية عقلية فإن القلوب مغطورة على
الاقرار بأن الله عز وجل في العلو وعلى أنه
يدعى من أعلى لا من أسفل وكذلك أصحابه
من بعده كأبي يوسف وهشام بن عبيد الله
الرازي كما روى ابن أبي حاتم وشيخ
الإسلام بأسانيدهما أن هشام بن عبيد الله
الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي
الري حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به
إلى هشام ليتمحنه فقال الحمد لله على
التوبة فامتحنه هشام فقال أشهد أن الله
على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد أن
الله على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه

فقال ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب وسيأتي
قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث
قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه
الله تعالى—

ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب
التمهيد أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد
المؤمن حدثنا أحمد بن جعفر بن أحمد أن
ابن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل
حدثني أبي حدثنا شريح بن النعمان حدثنا
عبد الله بن نافع قال قال مالك بن أنس الله
في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه
مكان قال وقيل لمالك (الرحمن على
العرش استوى) كيف استوى فقال مالك
رحمه الله تعالى استواؤه معقول وكيفيته
مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل
سوء وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده

قال يحيى بن إبراهيم الطيطلي في كتاب
سير الفقهاء وهو كتاب جليل غزير العلم
حدثني عبد الملك بن حبيب عن عبد الله بن
المغيرة عن الثوري عن الأعمش عن
إبراهيم قال كانوا يكرهون قول الرجل يا
خيبة الدهر وكانوا يقولون الله هو الدهر
وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفي لله
وإنما يرغم أنف الكافر وكانوا يكرهون قول
الرجل لا والذي خاتمه على فمي وإنما يختم
على فم الكافر وكانوا يكرهون قول الرجل
والله حيث كان أو أن الله بكل مكان قال
أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان
علمه وإحاطته وأصبغ من أجل أصحاب مالك
وأفقههم

ذكر قول أبي عمرو الطلمنكى—

قال في كتابه في الأصول أجمع
المسلمون من أهل السنة على أن الله
استوى على عرشه بذاته وقال في هذا
الكتاب أيضا أجمع أهل السنة على أنه تعالى
استوى على عرشه على الحقيقة لا على
المجاز ثم ساق بسنده عن مالك قوله الله
في السماء وعلمه في كل مكان ثم قال في
هذا الكتاب وأجمع المسلمون من أهل
السنة على أن معنى قوله تعالى (وهو
معكم أينما كنتم) ونحو ذلك من القرآن
بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته
مستوى على عرشه كيف شاء وهذه القصة
في كتابه

قول الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر

إمام السنة في زمانه رحمه الله تعالى—

قال في كتاب التمهيد في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن ابن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله في كل مكان وليس على العرش والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ثم استوى على العرش ما

لكم من دونه ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ()
وقوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي
دخان) وقوله تعالى (إذا لابتغوا إلى ذي
العرش سبيلا) وقوله تبارك اسمه (إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)
وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا) وقوله تعالى (أأمنتم من في
السماء أن يخسف بكم الأرض) وقوله
تعالى (فسبح اسم ربك الأعلى) وهذا من
العلو وكذلك قوله (العلي العظيم) و
(الكبير المتعال) و (رفيع الدرجات ذو
العرش) و (يخافون ربهم من فوقهم)
والجهمي يقول إنه أسفل وقوله تعالى (يدبر
الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه)
وقوله (تعرج الملائكة والروح إليه)
والعروج هو الصعود (وقوله تعالى) يا

عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) وقوله
تعالى (بل رفعه الله إليه) وقوله تعالى
(فالذين عند ربك يسبحون له) وقوله
تعالى (ليس له دافع من الله ذي المعارج
تعرج الملائكة والروح إليه) والعروج هو
الصعود وأما قوله (أأمنتم من في السماء
) فمعناه من على السماء يعني على
العرش وقد يكون في بمعنى على ألا ترى
إلى قوله تعالى (فسيحوا في الأرض) أي
على الأرض وكذلك قوله تعالى (ولاصلبكم
في جذوع النخل) وهذا كله يعضده قوله
تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه) وما كان
مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب
وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول
المعتزلة .



[رد ادعائهم المجاز في الاستواء]

[

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء

من العبادات وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه قال أبو عبيدة في قوله (لرحمن على العرش استوى) قال علا قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره استوى أي استقر واحتج بقوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى) انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد قال ابن عبد البر الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال (لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال تعالى (واستوت

على الجودي) وقال تعالى (فإذا استويت
أنت ومن معك على الفلك)

وقال الشاعر

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة وقد حلق

النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى لأن
النجم لا يستولى وقد ذكر النضر بن شميل
وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة
قال حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال
أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم ما
رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا
السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر
ما قال فقال لنا أعرابي إلى جانبه إنه أمركم
أن ترفعوا فقال الخليل هو من قول الله
ثم استوى إلى السماء وهي دخان فصعدنا
إليه قال وأما من نزع منهم بحديث يرويه

عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم ابن
عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن
أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في
قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى
) قال استولى على جميع بريته فلا يخلو
منه مكان فالجواب إن هذا حديث منكر على
ابن عباس رضي الله عنهما ونقلته مجهولة
وضعفاء فأما عبد الله بن داود الواسطي
وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وإبراهيم
بن عبد الصمد وجهول لا يعرف وهم لا
يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم
الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا
وأنصفوا أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول
(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي
أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى
إله موسى وإني لأظنه كاذبا فدل على أن

موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول إلهي
في السماء وفرعون يظنه كاذبا

وقال الشاعر

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو
فوق العرش فرد موحد ملك على
عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه
وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول
في وصف الملائكة

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم ربا
فوقه ويمجد

قال فإن احتجوا بقوله تعالى (وهو
الذي في السماء إله وفي الأرض إله)
وبقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي
الأرض) وبقوله تعالى (ما يكون من
نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو

سادسهم) وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده قيل لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك أنه في السماء اله معبود من أهل السماء وفي الأرض اله معبود من أهل الأرض وكذا قال أهل العلم بالتفسير وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش فالاختلاف في ذلك ساقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله في الآية الأخرى (وفي الأرض اله) فالإجماع والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين

أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو
نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء
ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى
السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى
وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من
أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه
اضطراري لم يخالفهم فيه أحد ولا أنكره
عليهم مسلم وقد قال للأمة التي أراد مولاها
عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله
بأن قال لها أين الله فأشارت إلى السماء ثم
قال لها من أنا قالت أنت رسول الله قال
اعتقها فإنها مؤمنة فاكتمى رسول الله منها
برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما
سواه قال وأما احتجاجهم بقوله تعالى (ما
يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فلا
حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء

الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل
في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو
على العرش وعلمه في كل مكان وما
خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله وذكر سنيد
عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم
في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا
هو رابعهم قال هو على عرشه وعلمه
معهم أينما كانوا قال وبلغني عن سفيان
الثوري مثله

قال سنيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن
بهدة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال الله فوق العرش وعلمه
في كل مكان لا يخفى عليه شيء من
أعمالكم ثم ساق من طريق يزيد بن هارون
عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدة عن
زر عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه

قال ما بين السماء إلى الأرض مسيرة
خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى
الأخرى خمسمائة عام وما بين السماء
السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام
وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة
خمسمائة عام والعرش على الماء والله
على العرش ويعلم أعمالكم وذكر هذا الكلام
أو قريبا منه في كتاب الاستذكار ذكر
قول الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله
بن أبي زيد القيرواني قال في خطبته
برسالته المشهورة باب ما تنطق به الألسنة
وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات
ومن ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان
أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا
نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له
ولا شريك له ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته

انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا
يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون
بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته (ولا
يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما
وهو العلي العظيم) وهو العليم الخبير
المدير القدير السميع البصير العلي الكبير
وإنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو بكل
مكان بعلمه وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره
وغيرها من كتبه وذكر في كتابه المفرد في
السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على
عرشه بذاته أتم تقرير فقال :

[فصل في بيان ما اجتمعت عليه]

[الأمة من السنن] فيما اجتمعت

عليه الأمور من أمور الديانة من السنن التي
خلافها بدعة وضلالة إن الله سبحانه وتعالى

اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى
لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف
بأن له علما وقدرة وإرادة ومشئئة أحاط
علما بجميع ما بدا قبل كونه فطر الأشياء
بإرادته وقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن
يقول له كن فيكون) وأن كلامه صفة من
صفاته ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق
فينفذ وأن الله عز وجل كلم موسى عليه
الصلاة والسلام بذاته وأسمعه كلامه لا كلما
قام في غيره وأنه يسمع ويرى ويقبض
ويبسط وأن يديه مبسوطتان والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات
بيمينه وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي
قوله سبحانه (ما منعك أن تسجد لما
خلقت بيدي) وأنه يجيء يوم القيامة بعد
أن لم يكن جائيا والملك صفا صفا لعرض

الأمم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء وأنه يرضى ويحب
التوايين ويسخط على من كفر به ويغضب
فلا يقوم شيء لغضبه وأنه فوق سمواته
على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان
بعلمه وأن الله سبحانه كرسيا كما قال عز
وجل وسع كرسيه السموات والأرض
وكما جاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع
كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء قال
مجاهد كانوا يقولون ما السموات والأرض
في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من
الأرض وأن الله سبحانه يراه أولياؤه في
المعاد بأبصارهم لا يضاؤون في رؤيته كما
قال عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله

في قول الله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) هو النظر إلى وجهه الكريم وأنه يكلم عبادة يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان وأن الجنة والنار داران قد خلقتا أعدت الجنة للمؤمنين المتقين والنار للكافرين الجاحدين ولا يفنيان والإيمان بالقدر خيره وشره وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه وأن مقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه تفضل على من أطاعه فوفقه وحبب الإيمان إليه وزينه في قلبه فيسره له وشرح له صدره ونور له قلبه فهداه (ومن يهد الله فلا مضل) وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره فحجبه وأضله (ومن يضل الله فلا مضل) وولى مرشداً) وكل ينتهي إلى سابق عمله لا محيص لأحد عنه

وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب
وعمل بالجوارح يزيد ذلك بالطاعة وينقص
بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لا محبط
للإيمان ولا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل
إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة
السنة وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب
وإن كان كبيرا ولا يحبط الإيمان غير الشرك
بالله تعالى كما قال سبحانه **لئن
أشركت ليحبطن عملك** وقال تعالى (**إن
الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء**) وأن على العباد حفظة يكتبون
أعمالهم كما قال تعالى (**وإن عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون**)
وقال تعالى (**ما يلفظ من قول إلا لديه
رقيب عتيد**) وأن ملك الموت يقبض الأرواح
كلها بإذن الله تعالى متى شاء كما قال

تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم) وأن الخلق ميتون بأجالهم فأرواح
أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة
وأرواح أهل الشقاء في سجين معذبة إلى
يوم القيامة وأن الشهداء أحياء عند ربهم
يرزقون وأن عذاب القبر حق وأن المؤمنين
يفتنون في قبورهم ويضغطون ويسئلون
ويثبت الله منطق من أحب تشيته وأنه ينفخ
في الصور فيصعق من في السموات ومن
في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه
أخرى فإذا هم قيام ينظرون كما بدأهم
يعودون حفاة عراة غرلا وأن الأجساد التي
أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة
لتجازى والجلود التي كانت في الدنيا
والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم
يوم القيامة على من تشهد عليه منهم

وتنصب الموازين لوزن أعمال العباد فأفلح
من ثقلت موازينه وخاب وخسر من خفت
موازينه ويؤتون صحائفهم فمن أوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ومن
أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرا
وأن الصراط جسر مورود يجوزه العباد بقدر
أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة
عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم أعمالهم
فيها يتساقطون وأنه يخرج من النار من في
قلبه شيء من الإيمان وأن الشفاعة لأهل
الكبائر من المؤمنين ويخرج من النار
بشفاعة رسول الله قوم من أمته بعد أن
صاروا فيها حمما يطرحون في نهر الحياة
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل
والإيمان بحوض رسول الله ترده أمته لا
يظماً من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل

والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى
السموات على ما صحت به الروايات وأنه
رأى من آيات ربه الكبرى وبما ثبت من
خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام حكما عدلا يقتل الدجال
وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع
الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير
ذلك مما صحت به الروايات ونصدق بما
جاءنا عن الله تعالى في كتابه وثبت عن
رسول الله وأخباره ونوجب العمل بمحكمه
ونؤمن ونقر بمشكله ومتشابهه ونكل ما
غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله تعالى
والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه
والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكل
ما غاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند
ربنا وقال بعض الناس الراسخون في

العلم يعلمون مشكله ولكن الأول قول أهل
المدينة وعليه تدل الكتب وأن أفضل القرون
قرن الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال النبي وأن
أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم
علي وقيل ثم عثمان وعلي ويكف عن
التفضيل بينهما روي ذلك عن مالك وقال ما
أدركت أحدا اقتدى به يفضل أحدهما على
صاحبه فرأى الكف عنهما وروي عنه القول
الأول وهو قول أهل الحديث ثم بقية العشرة
ثم أهل بدر من المهاجرين ومن الأنصار
ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة
والسابقة والفضيلة وكل من صحبه ولو
ساعة أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من
التابعين والكف عن ذكر أصحاب رسول الله
إلا بخير ما يذكرون به وأنهم أحق أن ننشر

محاسنهم ونلتمس لهم أفضل مخارجهم
ونظن بهم أحسن المذاهب قال النبي لا
تؤذوني في أصحابي فوالذي نفسي بيده لو
أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصفيه قال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا
قال أهل العلم لا يذكرون إلا بأحسن ذكر
والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من
ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة
واشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج
عليه جار أو عدل ونغزو معه العدو ونحج معه
البيت ودفع الصدقات اليهم مجزية إذا
طلبوها ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين قاله
غير واحد من العلماء وقال مالك لا نصلي
خلف المبتدع منهم إلا أن نخافه فنصلي
واختلف في الإعادة ولا بأس بقتال من
دافعك من الخوارج واللصوص من

المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك
والتسليم للمسلمين لا تعارض برأي ولا
تدافع بقياس وما تأوله منها السلف الصالح
تأولناه وما عملوا به عملناه وما تركوه
تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا
ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي بهم فيما
استنبطوه ورأوه في الحوادث ولا نخرج من
جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله وكل
ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة
الناس في الفقه والحديث على ما بيناه وكله
قول مالك فمنه منصوص من قوله ومنه
معلوم من مذهبه قال مالك قال عمر بن
عبد العزيز سن رسول الله وولاية الأمر من
بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى
واستكمال لطاعته وقوة على دين الله
تعالى ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر

فيما خالفها من اهتدى بها هدى ومن
استنصر بها نصر ومن تركها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاة الله ما تولى وأصلاه جهنم
وساءت مصيرا قال مالك وأعجبنى عزم
عمر رضي الله عنه في ذلك وقال في
مختصر المدونة وأنه تعالى فوق عرشه
بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه رضي
الله عنه ما كان أصلبه في السنة وأقومه بها

قول الإمام أبي بكر محمد بن وهب
المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد من
المشهورين بالفقه والسنة رحمه الله تعالى
قال في شرحه للرسالة ومعنى فوق وعلا
واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى
وسنة رسوله وتصديق ذلك قوله تعالى (ثم
استوى على العرش الرحمن) وقال
تعالى (الرحمن على العرش استوى)

وقال تعالى في وصف خوف الملائكة
(يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما
يؤمرون) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه) ونحو ذلك
كثير وقال رسول الله للأعجمية أين الله
فأشارت إلى السماء ووصف النبي أنه عرج
به من الأرض إلى السماء ثم من سماء إلى
سماء إلى سدرة المنتهى ثم إلى ما فوقها
حتى لقد قال سمعت صريف الأقلام ولما
فرضت الصلوات جعل كلما هبط من مكانه
تلقاه موسى عليه السلام في بعض
السموات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته
فرجع صاعدا مرتفعا إلى الله سبحانه
وتعالى يسأله حتى انتهت إلى خمس
صلوات وسنذكر تمام كلامه قريبا إن شاء
الله تعالى

قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف
المقري الأندلسي رحمه الله قال في
الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق
والاقتداء من تصنيفه من شرح المخلص
للشيخ أبي الحسن القابسي رحمه الله
تعالى عن مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد
الله الأغر وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى
يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني
فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن
يستغفرني فأغفر له في هذا الحديث دليل
على أنه تعالى في السماء على العرش
فوق سبع سموات من غير مماسة ولا
تكيف كما قال أهل العلم ودليل قولهم أيضا
من القرآن قوله تعالى (الرحمن على

العرش استوى) وقوله تعالى (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقوله تعالى (إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا) وقوله تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه وقوله تعالى

لعيسى عليه الصلاة والسلام) إني متوفيك ورافعك إلي) وقوله تعالى (ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه) والعروج هو الصعود وقال مالك بن أنس الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان يريد والله أعلم بقوله في السماء على السماء كما قال تعالى (ولأصلبكم في جذوع النخل) وكما قال

تعالى (أأمنتم من في السماء) أي من على
السماء يعني على العرش وكما قال تعالى
(فسيحوا في الأرض) أي على الأرض
وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى
كيف استوى قال مالك رحمه الله تعالى
لقائله استواؤه معقول وكيفيته مجهولة
وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء
قال أبو عبيدة في قوله تعالى (الرحمن
على العرش استوى) أي علا قال وتقول
العرب استويت فوق الدابة وفوق البيت
وكل ما قدمت دليل واضح في إبطال قول
من قال بالمجاز في الاستواء وإن استوى
بمعنى استولى لأن الاستيلاء في اللغة
المغالبة وأنه لا يغالبه أحد ومن حق الكلام
أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه
أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل

إلينا من ربنا سبحانه وتعالى الأعلى ذلك
وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر
والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما
يوجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز
لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات وجل
الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب
من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند
السامعين والاستواء معلوم في اللغة وهو
العلو والارتفاع والتمكن

ومن الحجة أيضا في أن الله سبحانه
وتعالى على العرش فوق السموات السبع
أن الموجودين أجمعين إذا كر بهم أمر رفعوا
وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم
وقوله للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها أين
الله فأشارت إلى السماء ثم قال لها من أنا
قالت أنت رسول الله قال اعتقها فإنها

مؤمنة فاكتفى رسول الله منها برفع رأسها
إلى السماء ودل على ما قدمناه أنه على
العرش والعرش فوق السموات السبع
ودليل قولنا أيضا قول أمية بن أبي الصلت
في وصف الملائكة

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم
ربا فوقه ويمجد فسبحان من لا
يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش
فرد موحد ملك على عرش السماء
مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد
وقوله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن
لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أسباب
السموات فاطلع إلى إله موسى) فدل
على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان
يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا
فإن احتج أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان

كذلك لأشبهه المخلوقات لأن ما أحاطت به
الأمكنة واحتوته فهو مخلوق فشيء لا يلزم
ولا معنى له لأنه تعالى ليس كمثله شيء من
خلقه ولا يقاس بشيء من بريته ولا يدرك
بقياس ولا يقاس بالناس كان قبل الأمكنة ثم
يكون بعدها لا إله إلا هو خالق كل شيء لا
شريك له .

وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا
يعقل كائن إلا في مكان ما وما ليس في
مكان فهو عدم وقد صح في العقول وثبت
بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان
وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من
خلقه أو يجري بينهم وبينه تمثيل أو تشبيه
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

فإن قال قائل إذا وصفنا ربنا تعالى أنه
كان في الأزل لا في مكان ثم خلق الأماكن

فصار في مكان ففي ذلك إقرار منا فيه
بالتغيير والانتقال إذا زال عن صفته في
الأزل وصار في مكان دون مكان .

قيل له وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في
مكان ثم صار في كل مكان فنقل صفته من
الكون لا في مكان إلى صفة هي الكون في
كل مكان فقد تغير عندك معبود وانتقل من
لا مكان إلى كل مكان فإن قال إنه كان في
الأزل في كل مكان لما هو الآن فقد أوجب
الأماكن والأشياء معه في أزليته وهذا فاسد

فإن قال فهل يجوز عندك أن ينتقل من
لا مكان في الأزل إلى مكان قيل له أما
الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق
ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانا
وكذلك نقلته لا توجب مكانا وليس في ذلك
كالخلق لأن كونه يوجب مكانا من الخلق

ونقلته توجب مكانا ويصير منتقلا من مكان إلى مكان والله تعالى ليس كذلك ولكننا نقول استوى من لا مكان إلى مكان ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحدا كما نقول له عرش ولا نقول له سرير ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ونقول خليل إبراهيم ولا نقول صديق إبراهيم وإن كان المعنى في ذلك واحدا لأننا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمي به نفسه على ما تقدم ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن وقد قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا ابتداء لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرًا فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلا ولو اعتبرت ذلك

بقولهم جاءت فلانا قيامته وجاءه الموت
وجاءه المرض وشبه ذلك مما هو وجود نازل
به لا مجيء ، لبان لك وبالله العصمة
والتوفيق .

فإن قال أنه لا يكون مستويا على
مكان إلا مقرونا بالتكيف قيل له قد يكون
الاستواء واجبا والتكيف مرتفع وليس رفع
التكيف يوجب رفع الاستواء ولو الزم هذا
لزم التكيف في الأزل ولا يكون كائنا في
مكان ولا مقرونا بالتكيف فإن قال إنه كان
ولا مكان وهو غير مقرون بالتكيف وقد
عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في
أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا
بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح
وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه
يوجب أنه ليس على عرشه .

وقد روي عن أبي رزين العقيلي قال
قلت يا رسول الله أين كان ربنا تبارك
وتعالى قبل أن يخلق السموات والأرض قال
كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء .
قال أبو القاسم العماء ممدود وهو السحاب
والعمى مقصور الظلمة وقد روى الحديث
بالمد والقصر فمن رواه بالمد فمعناه عنده
كان في عماء سحاب ما تحته وما فوقه هواء
والهاء راجعة على العماء ومن رواه بالقصر
فمعناه عنده كان في عمى عن خلقه لأنه
من عمى عن شيء فقد أظلم عنه قال
سنيد بسنده عن مجاهد قال إن بين العرش
وبين الملائكة لسبعين حجابا من نور وحجابا
من ظلمة وروى أيضا سنيد بسنده عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال ما بين السماء
إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين

السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة
خمسمائة عام والعرش على الماء والله
سبحانه وتعالى على العرش ويعلم أعمالكم
وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضا أنه
فوق العرش لا يخفى عليه شيء من
أعمالكم قال أبو القاسم يريد فوق العرش
لأن العرش آخر المخلوقات ليس فوقه
مخلوق فالله تعالى أعلى المخلوقات دون
تكيف ولا مماسة .

ولا أعلم في هذا الباب حديثا مرفوعا إلا
حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن
رسول الله نظر إلى سحابة فقال ما تسمون
هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا
والمزن قال والعنان قالوا نعم قال كم ترون
بينكم وبين السماء قالوا لا ندري قال بينكم

وبينه إما واحد أو إثنان أو ثلاث وسبعون سنة
والسمااء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى
عد سبع سموات ثم فوق السمااء السابعة
بحر أعلاه وأسفله كما بين سمااء إلى سمااء
ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم
وركبهم مثل ما بين سمااء إلى سمااء على
ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما
بين سمااء إلى سمااء ثم الله تعالى إلى فوق
ذلك هذا حديث حسن صحيح أخرجه داود

قول الإمام أبي عبد الله محمد بن
عيسى المالكي المشهور بأبن أبي زمنين
رحمه الله تعالى

قال في كتابه الذي صنفه في أصول
السنة باب الإيمان بالعرش ومن قول أهل
السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه
بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم

استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه
في قوله عز وجل (الرحمن على العرش
استوى) وفي قوله تعالى (ثم استوى
على العرش) يعلم ما يلج في الأرض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وذكر حديث أبي رزين العقيلي قلت يا
رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق
السموات والأرض قال كان في عماء ما
فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه
على الماء ثم ذكر الآثار في ذلك إلى أن قال
باب الإيمان بالحجب قال ومن قول أهل
السنة أن الله تعالى بائن من خلقه محتجب
عنهم بالحجب تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا كبرت كلمة تخرج
من أفواههم إن يقولون إلا كذبا إلى أن
قال باب الإيمان بالنزول قال ومن قول أهل

السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وذكر
حديث النزول ثم قال وهذا الحديث يبين أن
الله تعالى على عرشه في السماء دون
الأرض وهو أيضا بين في كتاب الله تعالى
وتقدس وفي غير ما حديث عن رسول الله
قال الله عز وجل يدبر الأمر من السماء
إلى الأرض ثم يعرج إليه وساق الآيات في
العلو وذكر من طريق مالك قول النبي أين
الله ثم قال والحديث في مثل هذا كثير

قول القاضى عبد الوهاب إمام المالكية

بالعراق

من كبار أهل السنة رحمهم الله تعالى
صرح بأن الله سبحانه استوى على عرشه
بذاته نقله شيخ الإسلام عنه في غير موضع
من كتبه ونقله عنه القرطبي في شرح
الأسماء الحسنى ذكر قول الإمام محمد

بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى
وقدس روحه ونور ضريحه قال الإمام
ابن الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي
حدثنا أبو شعيب وأبو ثور عن أبي عبد الله
محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى
قال القول في السنة التي أنا عليها ورأيت
أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم
وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما
الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في
سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله
تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء قال
عبد الرحمن وحدثنا يونس بن عبد الأعلى
قال سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس
الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله
وما يؤمن به فقال لله تعالى أسماء وصفات

جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدا
من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لأن
القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول
بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك
بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل
ثبوت الحجة عليه فمعدور بالجهل لأن علم
ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا
يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه
بها وتثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه
فما نفى التشبيه عن نفسه فقال (ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير)

وصح عن الشافعي أنه قال خلافة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في
سمائه وجمع عليها قلوب عباده ومعلوم أن
المقضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه
وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته وقال في

خطبة رسالته الحمد لله الذي هو كما وصف
به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه فجعل
صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع قال
يونس بن عبد الأعلى قال لي محمد بن
إدريس الشافعي رضي الله عنه الأصل
قرآن وسنة فإن لم يكن فقياس عليهما وإذا
اتصل الحديث عن رسول الله وصح الإسناد
منه فهو سنة والاجماع أكبر من الخبر الفرد
والحديث على ظاهره وإذا احتمل المعاني
فما أشبه منها ظاهره فهو أولها به قال
الخطيب في الكفاية أخبرنا أبو نعيم الحافظ
حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان
حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو
حاتم الرازي حدثني يونس ابن عبد الأعلى
فذكره

قول صاحبه إمام الشافعية في وقته أبي

إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ¹

في رسالته في السنة التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده ونحن نسوقها كلها بلفظها بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى أما بعد فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به وتدرأ به عنك شبه الأقاويل وزيف محدثات الضالين وقد شرحت لك منها جا موضحاً لم آل نفسي وإياك فيه نصحا بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد .

¹ هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو المزني صاحب الإمام الشافعي - رحمه الله - ومن من أهل مصر - وكان زاهدا عالما مجتهداً له مصنفات كثيرة في مذهب الإمام الشافعي منها الجامع الكبير والصغير والمنثور والوثائق . قال الشافعي فيه : المزني ناصر مذهبي وكان أحد الزهاد في الدنيا

ومن خير خلق الله عزوجل .توفي رحمه الله لست بقين من شهر
رمضان سنة 264هـ بمصر بالقرافة الصغرى وله من العمر 89
سنة (انظر وفيات الاعيان 1/217 والسبكي في طبقاته 1/238).

الحمد لله أحق ما بدأ وأولى من شكر وعليه
أثني الواحد الصمد الذي ليس له صاحبة ولا
ولد جل عن المثل فلا شبيه له ولا عديل
السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع

[العلو]

عال على عرشه في مجده بذاته "1"
وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور
وأنفذ في خلقه سابق المقذور وهو الجواد
الغفور و {ويعلم خائنة الأعين وما تخفي
الصدور}

فائدة قال الذهبي - بعد أن أورد قول ابن أبي زيد القيرواني [وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وأنه في كل مكان بعلمه : " قد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي ، وكذلك أطلقها يحيى بن عمار واعظ سجستان في " رسالته " ، والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي في كتاب (الإبانة) له . وكذلك أطلقها ابن عبالبر ، وأحمد بن ثابت الطريقي الحافظ ، والشيخ عبدالقادر الجيلي ، والمفتي عبد العزيز القحيطي ووظائفه ، وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش فهو كما قال ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا ، وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الاسلام)
بإيجاز من كتاب " العلو " ص 171 - 172 ..

[القضاء والقدر]

فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون
لما خلقهم له من خير وشر لا يملكون
لأنفسهم نفعا من الطاعة ولا يجدون إلى
صرف المعصية عنها دفعا.

[الملائكة]

خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت
به فخلق الملائكة جميعا لطاعته وجبلهم

على عبادته فمنهم ملائكة بقدرته للعرش
حاملون وطائفة منهم حول عرشه يسبحون
وآخرون بحمده يقدسون واصطفى منهم
رسلا إلى رسله وبعض مدبرون لأمره .

[آدم - عليه السلام -]

ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته وقبل
ذلك للأرض خلقه ونهاه عن شجرة قد نفذ
قضاؤه عليه بأكلها ثم ابتلاه بها نهاه عنه منها
ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها وجعل أكله
للهبوط إلى الأرض سببا فما وجد إلى ترك
أكلها سبيلا ولا عنه لها مذهباً .

[الجنة والنار]

ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً فهم
بأعمالها بمشيئته عاملون وبقدرته وبإرادته
ينفذون .

وخلق من ذريته للنار أهلا فخلق لهم
أعينا لا يبصرون بها وآذانا لا يسمعون بها
وقلوبا لا يفقهون بها فهم بذلك عن الهدى
محجوبون وهم بأعمال أهل النار بسابق
قدره يعملون

[الإيمان]

والإيمان قول وعمل مع اعتقاد بالجنان
، وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان ،
وهما شيئان ونظامان وقرينان لا نفرق
بينهما لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان .
والمؤمنون في الإيمان متفاضلون
وبصالح الأعمال هم متزايدون ولا يخرجون
من الإيمان بالذنوب ولا يكفرون بركوب
كبيرة ولا عصيان ولا يوجب لمحسنهم غير ما
أوجب له النبي ولا يشهد على مسيئهم بالنار

[القرآن]

والقرآن كلام الله عز وجل ومن الله وليس
بمخلوق
فيبيد"

1"-----

"1"

وقد قال أبو عوانة : دخلت على أبي إبراهيم المزني
في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : ما قولك في
القرآن ؟ فقال : كلام الله غير مخلوق . فقلت : هلا
قلت قبل هذا ؟ قال : لم يزل هذا قولي ، وكرهت
الكلام فيه لأن الشافعي كان ينهى عن الكلام فيه ،
يعني البحث والجدال في ذلك : أخرجه الحاكم في
ترجمة أبي عوانة ، قال - أي الحاكم - : سمعت يحيى
بن منصور القاضي يقول : سمعت أبا عوانة - رحمه
الله - به . كذا في

" العلو " ص 157 قال الألباني في " مختصره " ص

233 : الإسناد جيد "

وانظر مبحث دفع فرية عن الإمام المزني ص 24 -

29

[الصفات]

وكلمات الله وقدره الله ونعته وصفاته
كلها غير مخلوقات دائمة أزلية ليست
بمحدثات فتبيد ولا كان ربنا
ناقصا فيزيد .

جلت صفاته عن شبه المخلوقين
وقصرت عنه فطن الواصفين قريب بالإجابة
عند السؤال بعيد بالتعزز لا ينال .
عال على عرشه بائن "1" من خلقه
موجود ليس بمعدوم ولا مفقود .

.....

قال الذهبي في العلو ص 135- بعد هذا - : " وذكر سائر
المعتقد "

واعلم أن لفظة " بائن " كثر ورودها في عقيدة
السلف في قولهم : " هو تعالى على عرشه بائن من خلقه
" وحكاها أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان عن العلماء في
جميع الأمصار ، وإنما نطق العلماء بهاتين اللفظتين : "
بذاته " و " بائن " - بعد أن لم تكونا معروفتين في عهد
الصحابة رضي الله عنهم - لما ابتدع الجهم وأتباعه القول
بأن الله في كل مكان ، فاقتضت ضرورة البيان أن يتلفظ
الأئمة الأعلام بلفظ " بائن " دون أن ينكره أحد منهم .
انظر " مختصر العلو " ص 18 للعلامة الألباني " رحمه
الله "

[الآجال]

والخلق ميتون بأجالهم عند نفاذ أرزاقهم
وانقطاع آثارهم .

[القبر]

ثم هم بعد الضغطة في القبور مسؤولون .

[النشور والحساب]

وبعد البلى منشورون ويوم القيامة إلى ربهم
محشورون وعند العرض عليه محاسبون
بحضرة الموازين ونشر صحف الدواوين
أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة لو كان غير الله عز وجل
الحاكم بين خلقه .

فالله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة
في الدنيا وهو أسرع الحاسبين كما بدأه لهم
له شقاوة وسعادة يومئذ يعودون فريق في
الجنة وفريق في السعير .

[أهل الجنة]

وأهل الجنة يومئذ يتنعمون وبصنوف اللذات
يتلذذون وبأفضل الكرامة يحبرون .

[الرؤية]

فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في
النظر إليه ولا يشكون فوجوههم بكرامته
ناضرة وأعينهم بفضله إليه ناظرة في نعيم
دائم مقيم (لا يمسهم فيها نصب وما هم
منها بمخرجين) (أكلها دائم وظلها تلك
عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) .
وأهل الجحد عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وفي النار لمسجورون (لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون) لا يقضى عليهم فيموتوا ولا
يخفف عنهم من عذابها) إلا من شاء الله
إخراجه من الموحدين منها

[طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج

عليهم]

والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز
وجل مرضيا واجتتاب ما كان مسخطا .

وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة
إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على
رعيتهم .

[الإمساك عن تكفير أهل القبلة]

والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة
منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة فمن
ابتدع منهم ضلالة كان على أهل القبلة
خارجا ومن الدين مارقا ويتقرب إلى الله
بالبراءة منه ويهجر ويتجنب عدته فهي أعدى
من غدة الجرب .

[الصحابة]

ويقال بفضل خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه
فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي صلى
الله عليه وسلم ونثني بعده بالفاروق وهو

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهما وزيراً
رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعاه
في قبره وجليسه في الجنة وثالث بذى
النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه
ثم بذى الفضل والتقى علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم أجمعين .

ثم الباقيين من العشرة الذين أوجب لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة
ونخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر
الذي أوجبه له رسول الله صلى الله عليه
وسلم من التفضيل ثم لسائر أصحابه من
بعدهم رضي الله عنهم أجمعين .

ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن
أفعالهم ويمسك عن الخوض فيما شجر
بينهم وهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم
ارتضاهم الله عز وجل لنبيه وجعلهم أنصاراً

لدينه فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين
رضي الله عنهم أجمعين

[الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج

[

ولا تترك حضور صلاة الجمعة وصلاة مع
بر هذه الأمة وفاجرها ما كان من البدعة برياً
فإن ابتدع ضلالاً فلا صلاة خلفه والجهاد مع
كل إمام عدل أو جائر والحج

[قصر الصلاة والاختيار بين الصيام

والإفطار في الأسفار]

وقصر الصلاة في الأسفار والتخير فيه

بين الصيام والإفطار

[اجتماع أئمة الهدى الماضيين على

[هذه المقالات]

هذه مقالات اجتمع عليها الماضون الأولون
من أئمة الهدى وبتوفيق الله اعتصم بها
التابعون قدوة ورضا وجانبوا التكلف فيما
كفوا فسدوا بعون الله ووفقوا لم يرغبوا
عن الاتباع فيقصروا ولم يجاوزوا فيعتدوا
فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون واليه في
اتباع آثارهم راغبون

[المحافظة على أداء الفرائض

والرواتب واجتناب المحرمات]

فهذا شرح السنة تحريت كشفها وأوضحته
فمن وفقه الله للقيام بما أبتته مع معونته له
بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في
النجاسات وإسباغ الطهارات على الطاعات
وأداء الصلوات على الاستطاعات وإيتاء
الزكاة على أهل الجدات والحج على أهل
الجدة والاستطاعات وصيام شهر رمضان

لأهل الصحات وخمس صلوات سنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والوتر في كل
ليلة وركعتا الفجر وصلاة الفطر والنحر
وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء واجتناب
المحارم والاحتراز من النميمة والكذب
والغيبة والبغي بغير الحق وان يقول على
الله ما لا يعلم كل هذه كبائر محرمت
والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم
والمشارب والملابس واجتناب الشهوات
فإنها داعية لركوب المحرمات فمن رعى
حول الحمى فإنه يوشك أن يقع في الحمى
فمن يسر لهذا فإنه من الدين على هدى
ومن الرحمن على رجاء وفقنا الله وإياك
إلى سبيله الأقوم بمنه الجزيل الأقدم وجلاله
العلي الأكرم والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وعلى من قرأ علينا السلام ولا ينال

سلام الله تعالى الضالون والحمد لله رب
العالمين .

قول إمام الشافعية في وقته أبي العباس
بن سريج رحمه الله تعالى _____ ذكر أبو
القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني

في جوابات المسائل التي سئل عنها بمكة
فقال الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا
وعلى كل حال وصلى الله على محمد
المصطفى وعلى الأخيار الطيبين من
الأصحاب والآل سألت أيدك الله تعالى
بتوفيقه بيان ما صح لدي وتأدى حقيقته إلى
من سلك مذهب السلف وصالحي الخلف
في الصفات الواردة في الكتاب المنزل
والسنة المنقولة بالطرق الصحيحة برواية
الثقات الأثبات عن النبي بوجيز من القول

واختصار في الجواب فاستخرت الله سبحانه
وتعالى وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة
الفقهاء وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن
سريج رحمه الله تعالى وقد سئل عن مثل
هذا السؤال فقال أقول وبالله التوفيق :

حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه
وتعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى
الظنون أن تقع وعلى الضمائر أن تعمق
وعلى النفوس أن تفكر وعلى الأفكار أن
تحيط وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به
نفسه في كتابه أو على لسان رسوله وقد
صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة
والسنة والجماعة من السلف الماضين
والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين
الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن
جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته

وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق الإيمان بكل واحد منه كما ورد وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر ذلك مثل قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد

والسخط والاستحياء والذنو كقاب قوسين أو
أدنى وصعود الكلام الطيب اليه وعروج
الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه
وندائه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله
للملائكة وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته
وقدرته ومشيتته وصمدانيته وفردانيته
وأوليته وآخرته وظاهرته وباطنيته وحياته
وبقائه وأزليته وأبديته ونوره وتجليه والوجه
وخلق آدم عليه السلام بيده ونحو قوله
تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف
بكم الأرض) وقوله تعالى (وهو الذي في
السماء إله وفي الأرض إله) وسماعه من
غيره وسماع غيره منه وغير ذلك من صفاته
المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل
على نبيه وجميع ما لفظ به المصطفى من
صفاته كغرسه جنته الفردوس بيده وشجرة

طوبى بيده وخط التوراة بيده والضحك
والتعجب ووضع القدم على النار فتقول
قط قط وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى
سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة النصف من
شعبان وليلة القدر وكغيرته وفرحه بتوبة
العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء وأنه
ليس بأعور وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر
إليه وأن كلتا يديه يمين واختيار آدم قبضة
اليمنى وحديث القبضة وله كل يوم كذا وكذا
نظرة في اللوح المحفوظ وأنه يوم القيامة
يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة
ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح
ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال هؤلاء للجنة
ولا أبالي أصحاب اليمين وقبض قبضة أخرى
وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال ثم
ردهم في صلب آدم وحديث القبضة التي

يخرج بها من النار قوما لم يعملوا خيرا قط
عادوا حمما فيلقون في نهر من الجنة يقال
له نهر الحياة وحديث خلق آدم على صورته
وقوله لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم
على صورة الرحمن وإثبات الكلام بالحرف
والصوت وباللغات وبالكلمات وبالصور
وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك
الأرحام وللرحم ولملك الموت ولرضوان
ولمالك ولآدم ولموسى ولمحمد وللشهداء
وللمؤمنين عند الحساب وفي الجنة ونزول
القرآن إلى سماء الدنيا وكون القرآن في
المصاحف وما أذن الله لشيء كإذنه لنبي
يتغنى بالقرآن وقوله الله أشد اذنا لقارئ
القرآن من صاحب القينة إلى قينته وأن الله
سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب وفرغ
الله من الرزق والأجل وحديث ذبح الموت

ومباهات الله تعالى وصعود الأقوال
والأعمال والأرواح إليه وحديث معراج
الرسول ببدنه وبيان نفسه ونظره إلى الجنة
والنار وبلوغه إلى العرش إلى أن لم يكن
بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة وعرض
الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام
وعرض أعمال الأمة عليه وغير هذا مما صح
عنه من الأخبار المتشابهة الواردة في
صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما
صح عنه اعتقادنا فيه

وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها
ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا
نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها
ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكفيها ولا
نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ولا نشير
إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح

بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل ونفسر ما
فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة
المرضيون من السلف المعروفين بالدين
والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك
عن ما أمسكوا عنه ونسلم الخبر الظاهر
والآية الظاهرة تنزيلها لا نقول بتأويل
المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة
والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة
بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل
ونقول الإيمان بها واجب والقول بها سنة
وابتغاء تأويلها بدعة آخر كلام أبي العباس بن
سريح الذي حكاه أبو القاسم سعد بن علي
الزنجاني في أجوبته ثم ذكر باقي المسائل
وأجوبتها

قول الإمام حجة الإسلام أبي أحمد ابن
الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد
رحمه الله تعالى—

قال الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين وسلم تسليما أما بعد فإنك وفقك
الله تعالى لقول السداد وهداك إلى سبيل
الرشاد سألتني عن الاعتقاد الحق والمنهج
الصدق الذي يجب على العبد المكلف
اعتقاده ويعتمده فأقول والله الموفق
للصواب الذي يجب على العبد اعتقاده
ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ما دل
عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع
الصدر الأول من علماء السلف وأئمتهم
الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من
المسلمين وذلك أن يعتقد العبد ويقر

ويعترف بقلبه ولسانه أن الله واحد أحد فرد
صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا
إله سواه ولا معبود إلا إياه ولا شريك له ولا
نظير له ولا وزير له ولا ظهير له ولا سمي له
ولا صاحبة له ولا ولد له قديم أبدي أزلي أول
من غير بداية وآخر من غير نهاية موصوف
بصفات الكمال من الحياة والقدرة والعلم
والإرادة والسمع والبصر والبقاء والبهاء
والجمال والعظمة والجلال والامن والإفضال
لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء ولا يعزب
عن علمه شيء يعلم خائنة الأعين وما تخفي
الصدور ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا
في كتاب مبين منزه عن كل نقص وآفة
مقدس عن كل عيب وعاهة الخالق الرازق
المحيي المميت الباعث الوارث الأول الآخر

الظاهر الباطن الطالب الغالب المثيب
المعاقب الغفور الشكور قدر كل شيء
وقضاه وأبرمه وأمضاه من خير وشر ونفع
وضر وطاعة وعصيان وعمد ونسيان وعطاء
وحرمان لا يجري في ملكه ما لا يريد عدل
في أقضيته غير ظالم لبريته لا راد لأمره ولا
معقب لحكمه رب العالمين إله الأولين
والآخرين مالك يوم الدين ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير نصفه بما وصف
به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان
رسوله الكريم لا تجاوز ذلك ولا تزيد بل نقف
عنده وننتهي إليه ولا ندخل فيه برأي ولا
قياس لبعده عن الإشكال والإجناس ذلك من
فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون وأنه سبحانه مستو على
عرشه وفوق جميع خلقه كما أخبر في كتابه

وعلى السنة رسله من غير تشبيه ولا تعطيل
ولا تحريف ولا تأويل وكذلك كل ما جاء من
الصفات نمره كما جاء من غير مزيد عليه
ونقتدي في ذلك بعلماء السلف الصالح
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ونسكت
عما سكتوا عنه ونتأول ما تأولوا وهم القدوة
في هذا الباب أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب ونؤمن بالقدر خيره
وشره وحلوه ومره أنه من الله عز وجل لا
معقب لما حكم ولا ناقض لما أبرم وأن
أعمال العباد حسنها وسيئها خلق الله عز
وجل ومقدورة منه عليهم لا خالق لها سواه
ولا مقدر لها إلا إياه ليجزي الذين أساءوا بما
عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى لا
يسئل عما يفعل وهم يسألون وأنه عدل في
ذلك غير جائر لا يظلمهم مثقال ذرة وأن تك

حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما
وكذلك الأرزاق والآجال مقدره لا تزيد ولا
تنقص ونؤمن ونقر ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله وخيرته من انبيائه وأنه خاتم النبيين
وسيد المرسلين أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
ونؤمن أن كل كتاب أنزله الله تعالى حق
وان كل رسول أرسله الله تعالى حق وأن
الملائكة حق وان جبرائيل حق وميكائيل حق
وإسرافيل حق وعزرائيل وحملة العرش
والكرام الكاتبين من الملائكة حق وان
الشياطين والجن حق وان كرامات الأولياء
ومعجزات الأنبياء حق والعين حق والسحر
له حقيقة وتأثير في الأجسام ومسألة منكر
ونكير حق وفتنة القبر ونعيمه حق وعذابه
حق والبعث بعد الموت حق وقيام الساعة

والوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة
للحساب والقصاص والميزان حق والصراط
حق والحوض والشفاعة التي خص بها نبينا
يوم القيامة حق والشفاعة من الملائكة
والنبيين والمؤمنين حق والجنة حق والنار
حق وأنها مخلوقتان لا يبيدان ولا يفنيان
وخروج المؤمنين من النار بعد دخولها حق
ولا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من
إيمان وأهل الكبائر في مشيئة الله تعالى
لأنقطع عليهم بالنار بل نخاف عليهم ولا
نقطع للطائعين بالجنة بل نرجو لهم وأن
الإيمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل
بالجوارح وأنه يزيد وينقص وأن المؤمنين
يرون ربهم عز وجل في الآخرة من غير
حجاب وأن الكفار عن رؤية ربهم عز وجل
محجوبون وأن القرآن كلام الله رب

العالمين نزل به الروح الأمين على قلب
محمد خاتم النبيين أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا وأنه غير مخلوق
وأن السور والآيات والحروف المسموعات
والكلمات التامات التي أعجزت الإنس
والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ليس بمخلوق كما قال
المعتزلي ولا عبارة كما قال الكلابي وأنه
المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور
المكتوب في المصاحف المسموع لفظه
المفهوم معناه لا يتعدد بتعدد الصدور
والمصاحف والآيات لا يختلف باختلاف
الحناجر والنغمات أنزله إذا شاء

وهذا معنى قول السلف منه بدأ واليه يعود
واللفظية الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن
مخلوقة مبتدعة جهمية عند الإمام أحمد

والشافعي أخبرنا به الحسين بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم الطبري قال سمعت أحمد بن يوسف الشالنجي يقول سمعت أبا عبد الله الحسين ابن علي القطان يقول سمعت علي النجي يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول من قال لفظي بالقرآن أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي .

وحكي بهذا اللفظ عن أبي زرعة وعلي بن خشرم وغيرهم من أئمة السلف وأن الآيات التي تظهر عند قرب الساعة من الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات التي وردت بها الأخبار الصحاح حق وأن خير هذه الأمة القرن الأول وهم الصحابة رضي الله عنهم وخيرهم العشرة

الذين شهد لهم رسول الله بالجنة وخير هؤلاء العشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم ونعتقد حب آل محمد وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ونذكر محاسنهم وننشر فضائلهم ونمسك أسنتنا وقلوبنا عن التطلع فيما شجر بينهم ونستغفر الله لهم ونتوسل إلى الله تعالى باتباعهم ونرى الجهاد والجماعة ماضيا إلى يوم القيامة والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجبا في طاعة الله تعالى دون معصيته لا يجوز الخروج عليهم ولا المفارقة لهم ولا نكفر أحدا من المسلمين بذنب عمله ولو كبر ولا ندع الصلاة عليهم بل نحكم فيهم بحكم رسول الله ونترجم على معاوية ونكل سريرة يزيد إلى الله تعالى وقد روي عنه أنه لما رأى رأس الحسين رضوان الله عليه

قال لقد قتلك من كانت الرحم بينك وبينه
قاطعة وتبرأ ممن قتل الحسين رضوان الله
عليه وأعان عليه وأشار به ظاهرا وباطنا هذا
اعتقادنا ونكل سريرته إلى الله تعالى

[التوحيد]

والعبارة الجامعة في باب التوحيد أن
يقال إثبات من غير تشبيه ونفي من غير
تعطيل قال الله تعالى (ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير) والعبارة الجامعة
في المتشابه من آيات الصفات أن يقال
آمنت بما قال الله تعالى على ما أراده
وآمنت بما قال رسول الله على ما أراده
فهذا اعتقادنا الذي نتمسك به وننتهي إليه
ونسأل الله تعالى أن يحيينا عليه ويميتنا
عليه ويجعله وسيلتنا يوم الوقوف بين يديه
إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين

قول الإمام إسماعيل بن محمد بن

الفضل التيمي صاحب كتاب الترغيب

والترهيب وكتاب الحجة في بيان المحجة

ومذهب أهل السنة وكان إماما للشافعية

في وقته رحمه الله تعالى وجمع له أبو

موسى المديني مناقب لجلالته قال في

كتاب الحجة

باب في بيان استواء الله سبحانه وتعالى

على عرشه

قال الله تعالى (الرحمن على العرش

استوى) وقال في آية أخرى (وسع كرسيه

السموات والأرض) وقال (العلي

العظيم) وقال تعالى (سبح اسم

ربك الأعلى) قال أهل السنة الله فوق

السموات لا يعلوه خلق من خلقه

ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رؤسهم وأبصارهم (وقال عز وجل وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) والدليل على ذلك النصوص التي ذكر فيها نزول الرحمن (وقال)

فصل

في بيان أن العرش فوق السموات وإن الله سبحانه وتعالى فوق العرش في بيان أن العرش فوق السموات وأن الله سبحانه وتعالى فوق العرش ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الذي في البخاري لما قضى الله الخلق كتب في كتاب

فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت
غضبي وبسط الاستدلال على ذلك بالسنة
ثم قال قال علماء السنة أن الله عز وجل
على عرشه بائن من خلقه وقالت المعتزلة
هو بذاته في كل مكان وقالت الأشعرية
الاستواء عائد إلى العرش قال ولو كان كما
قالوا لكانت القراءة برفع العرش فلما كانت
بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله
سبحانه وتعالى (قال) وقال بعضهم استوى
بمعنى استولى قال الشاعر

قد استوى بشر على العرق من غير
سيف ودم مهراق والاستيلاء لا يوصف
به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه
والله تعالى لم يزل قادرا على الأشياء
ومستوليا عليها ألا ترى أنه لا يوصف بشر
بالاستيلاء على العراق وهو عاجز عنه قبل

ذلك ثم حكى أبو القاسم عن ذي النون المصري أنه قيل له ما أراد الله سبحانه بخلق العرش قال أراد أن لا يتوه قلوب العارفين (قال) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال هو على عرشه وعلمه في كل مكان ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال وزعم هؤلاء أن معنى الرحمن على العرش استوى أي ملكه وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه وقال أهل السنة خلق الله تعالى السموات وكان عرشه مخلوقا قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص وليس معناه المماساة بل هو

مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن
نفسه

(قال) وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة
إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى
فوق فإن ذلك يوجب التحديد وقد أجمع
المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى
ونطق بذلك القرآن فزعم هؤلاء أن ذلك
بمعنى علو الغلبة لا علو الذات وعند
المسلمين أن الله عز وجل علو الغلبة
والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة
مدح فنثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو
الصفات وعلو القهر والغلبة وفي منعهم
الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة
الفوق خلاف منهم لسائر الملل لأن جماهير
المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم
الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه

وتعالى من جهة الفوق في الدعاء والسؤال
واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ولم
يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا
من سائر الجهات سوى جهة الفوق وقال
تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقال
تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب)
وقال تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه)
وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال (يا هامان
ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب
السمرات فاطلع إلى إله موسى) فكان
فرعون قد فهم من موسى عليه الصلاة
والسلام أنه يثبت إلهها فوق السماء حتى رام
بصرحه أن يطلع إليه واتهم موسى عليه
الصلاة والسلام بالكذب في ذلك والجهمية لا
تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته فهم أعجز
فهما من فرعون بل وأضل

وقد صح عن النبي أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله قالت في السماء وأشارت برأسها إلى السماء وقال من أنا فقالت أنت رسول الله فقال اعتقها فانها مؤمنة فحكم النبي بإيمانها حين قالت إن الله في السماء و حكم الجهمي بكفر من يقول ذلك هذا كله كلام أبي القاسم التيمي رحمه الله تعالى .

قول الإمام أبي عمرو عثمان بن

أبي الحسن بن الحسين السهروردي

(المعروف بابن الصلاح)

الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما له كتاب في أصول الدين قال في أوله:

الحمد لله الذي اصطفى الاسلام على
الأديان وزين أهله بزينة الإيمان وجعل السنة
عصمة أهل الهداية ومجانبتها إمارة أهل
الغواية وأعز أهلها بالاستقامة ووصل عزهم
بالقيامة وصلى الله على محمد وسلم وعلى
آله أجمعين وبعد فإن الله تعالى لما جعل
الإسلام ركن الهدى والسنة سبب النجاة من
الردى ولم يجعل من ابتغى غير الإسلام ديناً
هادياً ولا من انتحل غير الإسلام نحلة ناجية
جمعت أصول السنة الناجية أهلها التي لا
يسع الجاهل نكرها ولا العالم جهلها ومن
سلك غيرها من المسالك فهدى في أودية
البدع هالك إلى أن قال ودعاني إلى جمع
هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب
الشافعي وأصحاب الحديث إذ هم أمراء
العلم وأئمة الإسلام قول النبي تكون البدع

في آخر الزمان محنة فإذا كان كذلك فمن
كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم
يومئذ ككاتم ما أنزل الله على نبيه محمد ثم
ساق الكلام في الصفات إلى أن قال :

فصل

ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه
على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه
وعلى لسان رسوله بلا كيف ودليله قوله
تعالى (الرحمن على العرش استوى)
وقوله تعالى (ثم استوى على العرش
الرحمن) وقوله تعالى في خمس مواضع
(ثم استوى على العرش) وقوله تعالى
في قصة عيسى عليه السلام (ورافعك إلي
) وساق إيات العلو ثم قال وعلماء الأمة
وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن
الله سبحانه مستو على عرشه وعرشه فوق

سبع سمواته ثم ذكر كلام عبد الله بن المبارك نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه وساق قول ابن خزيمة من لم يقر بأن الله تعالى فوق عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر بإسناده من كتاب معرفة علوم الحديث ومن كتاب تاريخ نيسابور للحاكم .

ثم قال وإمامنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه احتج في كتابه المبسوط على المخالف في مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة وسأل النبي ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها أين ربك

فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية فقال لها من أنا فأشارت إليه وإلى السماء تعني أنك رسول الله الذي في السماء فقال اعتقها فإنها مؤمنة فحكم رسول الله بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية هذا لفظه .

قول إمام الشافعية في وقته الإمام أبي بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي فقيه نيسابور رحمه الله تعالى قال الحافظ عبد القادر الرهاوي أخبرنا أبو العلاء الحسن بن الحسين أحمد الحافظ قال سمعت الشيخ الفقيه أبا بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي النيسابوري يقول لا أصلي خلف من ينكر الصفات ولا خلف

من يقول بقول أهل الفساد ولا خلف من لم
يثبت القرآن في المصحف ولا يثبت النبوة
قبل الماء والطين إلى يوم الدين ولا يقر بأن
الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه
قال أبو جعفر وسمعتَه يقول للشيخ أبي
المظفر السمعاني بنيسابور إن أردت أن
يكون لك درجة الأئمة في الدنيا والآخرة
فعليك بمذهب السلف الصالح وإياك أن
تداهن في ثلاث مسائل مسألة القرآن
ومسألة النبوة ومسألة استواء الرحمن على
العرش باستدلال النص من القرآن والسنة
المأثورة عن النبي حكاه الحافظ أبو منصور
عبد الله بن محمد بن الوليد في كتاب إثبات
العلو له قلت ونظير هذه المسائل الثلاث
ما حكاه أبو الفضل محمد بن طاهر
المقدسي قال سمعت أحمد بن أميرجة

القلانسي خادم شيخ الإسلام الأنصاري يقول حضرت مع شيخ الإسلام على الوزير أبي علي الحسن ابن علي الطوسي نظام الملك وكان أصحابه كلفوه بالخروج اليه ذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان في العسكر أئمة من الفريقين فاتفقوا جميعا على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير يعنتونه بها فإن أجاب بما يجب بهراة سقط من عين الوزير وإن لم يجب سقط من عين أصحابه وأهل مذهبه فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من الجماعة فقال يأذن الشيخ الإمام في أن أسأل مسألة فقال سل فقال لم تلعن أبا الحسن الأشعري فسكت وأطرق الوزير لما علم من جوابه فلما كان بعد ساعة قال له الوزير أجبه فقال لا ألعن

الأشعري وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء وأن القرآن في المصحف وأن النبي اليوم نبي ثم قام وانصرف فلم يكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيئته وصولته وصلابته فقال الوزير للسائل ومن معه هذا أردتم كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فأجهدتم حتى سمعناه بأذاننا وما عسى أن أفعل به ثم بعث خلفه خلعا وصلة فلم يقبلها وخرج من فوره إلى هراة وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة وصفات الحي مشروطة بها فإذا زالت بالموت تبعثها صفاته فزالت بزوالها ونجا متأخر وهم من هذا الإلزام وفروا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم فجعلوا لهم معادا يختص بهم قبل المعاد الأكبر إذ لم يمكنهم

التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت وقد أشبعنا
الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج
لهم وبيان ما في ذلك في كتاب الكافية
الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية

قول أبي الحسين العمراني صاحب

البيان فقيه الشافعية ببلاد اليمن رحمه

الله تعالى له كتاب لطيف في السنة

على مذهب أهل الحديث صرح فيه بمسألة
الفوقية والعلو والاستواء حقيقة وتكلم الله
عز وجل بهذا القرآن العربي المسموع
بالآذان حقيقة وأن جبرائيل عليه الصلاة
والسلام سمعه من الله سبحانه حقيقة
وصرح فيه بإثبات الصفات الخيرية واحتج
بذلك ونصره وصرح بمخالفة الجهمية
والنفاة

ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدى بأقوالهم سوى ما تقدم

قول أبي بكر بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد رحمة الله عليهما قد تقدم ذكره عند ذكر أصحاب مالك رحمه الله وحكينا بعض كلامه في شرحه ونحن نسوقه بعبارة قال وأما قوله إنه فوق عرشه المجيد بذاته فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد وفي كتاب الله وسنة رسوله تصديق ذلك ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية إلى أن قال وقد تأتي في لغة العرب بمعنى فوق وعلى ذلك قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) يريد فوقها وعليها وكذلك قوله تعالى (ولأصلبكم في

جذوع النخل) يريد عليها وقال تعالى
(أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم
الأرض) الآيات قال أهل التأويل العالمون
بلغه العرب يريد فوقها وهو قول مالك مما
فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين
مما فهموه عن الصحابة رضي الله عنهم
مما فهموه عن النبي أن الله في السماء
بمعنى فوقها وعليها فلذلك قال الشيخ أبو
محمد إنه فوق عرشه المجيد بذاته ثم أنه
بين أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه
بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل
مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته إذ
لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها وقد كان ولا
مكان ولم يحل بصفاته عما كان إذ لا تجري
عليه الأحوال لكن علوه في استوائه على
عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن

يستوي على العرش لأنه قال (ثم استوى
على العرش) و ثم أبدا لا يكون إلا
لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله
فسحة إلى أن قال وقوله (على
العرش استوى) فإنما معناه عند أهل
السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة
والملك الذي ظنته المعتزلة ومن قال
بقولهم إنه بمعنى الاستيلاء وبعضهم يقول
إنه على المجاز دون الحقيقة قال ويبين
سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على
غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد
علمه أهل العقول أنه لم يزل مستوليا على
جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها وكان
العرش وغيره في ذلك سواء فلا معنى
لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو
في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر

وغلبة قال وكذلك بين أيضا أنه على الحقيقة
بقوله عز وجل (ومن أصدق من الله قيلا
(فلما رأى المنصفون أفراد ذكره
بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته
وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن
الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا
بصفة الاستواء على عرشه وأنه على
الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قوله
ووقفوا عن تكيف ذلك وتمثيله إذ ليس
كمثله شيء من الأشياء

وقد تقدم قول القاضي عبد الوهاب أمام
المالكية بالعراق أن الاستواء استواء الذات
على العرش وأنه قول أبي الطيب الأشعري
حكاه عنه عبد الوهاب نصا وأنه قول
الأشعري بنفسه صرح به في بعض كتبه وأنه
قول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدثين

ذكر ذلك كله الإمام أبو بكر الحضرمي في رسالته التي سماها بالإيماء إلى مسألة الاستواء فمن أراد الوقوف عليها فليقرأها وقد تقدم قول أبي عمر بن عبد البر وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) أنه على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها

مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعبود
والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب
الله تعالى وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة

قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي

محمد عبد الله بن أحمد المقدسي الذي

اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه
وإمامته خلا جهمي أو معطل قال في كتاب
إثبات صفة العلو أما بعد فإن الله تعالى
وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك
رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام
وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة
الأتقياء والأئمة من الفقهاء وتواترت الأخبار
في ذلك على وجه حصل به اليقين وجمع
الله عز وجل عليه قلوب المسلمين وجعله
مغروزا في طبائع الخلق أجمعين فتراهم
عند نزول الكرب يلحظون السماء بأعينهم

ويرفعون عندها للدعاء أيديهم وينتظرون
مجيء الفرج من ربهم سبحانه وينطقون
بذلك بالسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في
بدعته أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته
وقال في عقيدته ومن السنة قول النبي
ينزل ربنا إلى سماء الدنيا وقوله لله أفرح
بتوبة عبده وقوله يعجب ربك إلى أن قال
فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت
روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نعتقد
فيه تشبيهه بصفات المخلوقين ولا سمات
المحدثين بل نؤمن بلفظه وترك التعرض
لمعناه قراءته تفسيره ومن ذلك قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى
(أأمنتم من في السماء)

وقول النبي ربنا الله الذي في السماء
وقوله للجارية أين الله قالت في السماء

قال اعتقها إنها مؤمنة رواه مالك بن أنس وغيره من الأئمة وروى أبو داود في سننه أن النبي قال إن بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا وذكر الحديث إلى أن قال وفوق ذلك العرش والله تعالى فوق ذلك نؤمن بذلك ونتلقاه بالقبول من غير رد ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا نتعرض له بكيف ولما سئل مالك بن أنس رضي الله عنه ف قيل له يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج

قول إمام الشافعية في وقته بل هو
الشافعي الثاني أبي أحمد الاسفرائيني
رحمه الله تعالى كان من كبار أئمة السنة

المثبتين للصفات قال مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد وسمعه النبي من جبرائيل عليه السلام وسمعه الصحابة رضي الله عنهم من محمد وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ذكره في كتابه في أصول الفقه ذكره عند شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية قال شيخنا رحمه الله وكان الشيخ أبو حامد يصرح بمخالفة القاضي أبي بكر بن الطيب في مسألة القرآن قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة قال الشيخ الأنصاري سمعت يحيى بن عمار يقول أنبأنا

محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول حدثنا جدي إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال نحن نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول غير الذي قيل لنا كما قالت الجهمية المعطلة أنه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم

وقال في كتاب التوحيد باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه وكان فوقه فوق كل شيء عاليا ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة ثم قال باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان ثم ساق حديث الجارية ثم قال باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق

عن النبي في نزول الرب سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة ثم قال نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب تبارك وتعالى من غير أن نصف الكيفية ثم ساق الأحاديث ثم قال باب كلام الله تعالى لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام ثم ساق الأدلة على ذلك ثم قال باب صفة تكلم الله تعالى بالوحي وشدة خوف السموات منه وذكر صعقة أهل السموات وسجودهم ثم قال باب بيان أن الله سبحانه يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله تعالى وبين عباده ثم ذكر الأحاديث في ذلك ثم قال باب ذكر بيان الفرق بين كلام الله تعالى الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه ثم قال باب ذكر بيان أن الله

تعالى ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة
برهم وفاجرهم وإن رغمت أنوف الجهمية
المعطلة المنكرة لصفات الله سبحانه
وتعالى وكتابه في السنة كتاب جليل
قال أبو عبد الله الحاكم في علوم الحديث
له وفي كتاب تاريخ نيسابور سمعت محمد
بن صالح بن هانيء يقول سمعت إمام الأئمة
أبا بكر بن خزيمة يقول من لم يقر بأن الله
على عرشه استوى فوق سبع سمواته وأنه
بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب
وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا
يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة توفي
الإمام ابن خزيمة سنة اثني عشر وثلاثمائة
ذكره الشيخ أبو إسحق الشيرازي في
طبقات الفقهاء أخذ الفقه عن المزني قال
المزني ابن خزيمة هو أعلم بالحديث مني

ولم يكن في وقته مثله في العلم بالحديثه
الفقه جميعا وقال في كتابه فمن ينكر رؤية
الله تعالى في الآخرة فهو عند المؤمنين شر
من اليهود والنصارى والمجوس وليسوا
بمؤمنين عند جميع المؤمنين

قول إمام الشافعية في وقته سعد بن علي

الزنجاني صرح بالفوقية بالذات فقال

وهو فوق عرشه بوجود ذاته هذا لفظه وهو
امام في السنة له قصيدة فيها معروفة أولها
تمسك بحبل الله واتبع الأثر ودع عنك رأيا
لا يلايمه خبر وقال في شرح هذه

القصيدة والصواب عند أهل الحق أن الله
تعالى خلق السموات والأرض وكان عرشه
على الماء مخلوقا قبل خلق السموات
والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق
السموات والأرض على ما ورد به النص

ونطق به القرآن وليس معنى استوائه أنه ملكه واستولى عليه لأنه كان مستولياً عليه قبل ذلك وهو أحدثه لأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها وليس معنى الاستواء أيضاً أنه ماس العرش أو اعتمد عليه أو طابقه فإن كل ذلك ممتنع في وصفه جل ذكره ولكنه مستو بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من

جهة الفوق في الدعاء والسؤال فاتفقهم
بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من
جهة الفوق حجة ولم يستجز أحد الإشارة
إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات
سوى جهة الفوق وقال تعالى (يخافون
ربهم من فوقهم)

وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى
(تعرج الملائكة والروح إليه) وأخبر عن
فرعون أنه قال (يا هامان ابن لي صرحا
لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع
إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) وكان
فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إليها
فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه
واتهم موسى بالكذب في ذلك ومخالفنا

ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته فهو
أعجز فهما من فرعون

وقد صح عن رسول الله أنه سأل
الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله قالت
في السماء وأشارت برأسها وقال من أنا
قالت أنت رسول الله فقال اعتقها فإنها
مؤمنة فحكم النبي بإيمانها حين قالت أن
الله في السماء وقال الله عز وجل (ثم
استوى على العرش) وقال تعالى (يدبر
الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه)
وذكر النبي ما بين كل سماء إلى سماء وما
بين السماء السابعة وبين العرش ثم قال
الله فوق ذلك وله أجوبة سئل عنها في
السنة فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة
وصدرها بجواب إمام وقته أبي العباس بن
سريج .

قول الإمام أبي جعفر محمد بن جرير

الطبري الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن قال في كتاب صريح السنة وحسب امريء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر وقال في تفسيره الكبير في قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال علا وارفع وقال في قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) عن الربيع ابن أنس أنه يعني ارتفع وقال في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال يجلسه على في العرش وقال في قوله عز وجل (يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذب) يقول وأني

لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعي أن له
ربا في السماء أرسله إلينا

وقال في كتاب التبصير في معالم الدين
القول فيما أدركه بيان وعلمه خبر من
الصفات وذلك نحو أخباره أنه سميع بصير
وأن له يدين بقوله (بل يداه مبسوطتان)
وأن له وجها بقوله تعالى (ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والإكرام) وأن له قدما لقول
النبي حتى يضع رب العزة فيها قدمه وأنه
يضحك لقوله لقي الله وهو يضحك إليه وأنه
يهبط إلى سماء الدنيا بخبر النبي بذلك وأن
له أصبعا بقول النبي ما من قلب إلا وهو بين
أصبعين من أصابع الرحمن فإن هذه المعاني
التي وضعت ونظائرها ما وصف الله به
نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه
بالذكر والرؤية لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد

انتهائها اليه ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلى في
كتاب إبطال التأويل

قال الخطيب كان ابن جرير أحد العلماء
يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه وكان قد جمع
من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل
عصره وكان عارفا بالقرآن بصيرا بالمعاني
فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن
وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها
ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين
في الأحكام والحلال والحرام قال أبو
حامد الاسفرائيني لو سافر رجل إلى الصين
حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير
لم يكن كثيرا وقال ابن خزيمة ما أعلم على
أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير وقال
الخطيب سمعت علي بن عبد الله اللغوي
يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة

يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة قلت
وكان له مذهب مستقل له أصحاب عدده أبو
الفرج المعافا بن زكريا ومن أراد معرفة
أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب
فليطالع ما قاله عنهم في تفسير قوله تعالى
(فلما تجلى ربه للجبل) وقوله (تكاد
السموات يتفطرن من فوقهن) وقوله (ثم
استوى على العرش) ليتبين له أي
الفريقين أولى بالله ورسوله الجهمية
المعطلة أو أهل السنة والإثبات والله
المستعان

قول الإمام أبي القاسم الطبري

اللالكائي أحد أئمة أصحاب الشافعي

رحمه الله تعالى في كتابه في السنة وهو
من أجل الكتب سياق ما جاء في قوله عز
وجل الرحمن على العرش استوى وأن

الله عز وجل على عرشه في السماء ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة قال هو قول عمر وعبد الله ابن مسعود وأحمد بن حنبل وعد جماعة بطول ذكرهم ثم ساق الآثار في ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم .

قول الإمام محي السنة الحسين

بن مسعود البغوي قدس الله روحه

قال في تفسيره الذي هو شجى في حلوق الجهمية والمعطلة في سورة الأعراف في قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال الكلبي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة سعد قال وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء قال وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف

يجب على الرجل أن يؤمن بذلك ويكل العلم فيه إلى الله تعالى ثم حكى قول مالك الاستواء غير مجهول ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفي التأويل فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير نفي الحقيقة وإثبات التكييف بالتأويل وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردا عليه وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه

[فصل في ذكر قول الإمام أحمد بن

حنبل وأصحابه رحمه الله تعالى]

قال الخلال في كتاب السنة حدثنا يوسف بن موسى قال أخبرنا عبد الله بن أحمد قال قيل لأبي رينا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال نعم لا يخلو شيء من علمه قال الخلال وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال سألت أبا عبد الله أحمد عن قال إن الله تعالى ليس على العرش فقال كلامهم كله يدور على الكفر وروى الطبري الشافعي في كتاب السنة له